إثبات

صلب المسيح

بالبرهان التاريخي والدليل الصحيح

PROOF OF THE CRUCIFIXION OF CHRIST
BY HISTORICAL EVIDENCE AND CORRECT TESTIMONY

تأليف

عبد عيسى

BY

'ABED 'ISA
(SIGISMUND WILHELM KOELLE)

طبعة جديدة سنة ١٩٢٣

ملتزم الطبع والنشر

مطبعة النيل المسيحية بالمناخ بمصر

مقدمة المؤلف

أما بعد فإن المسيحيين في العالم قاطبةً يعتقدون كأسلافهم في الأعصر الخالية أن يسوع المسيح مات على الصليب لكن المسلمين عموماً ينكرون هذا. ولا شك أن كل محب للحق يرغب أن يقف على المقدمات والأسس التي يبني عليها المسيحيون اعتقادهم والأسباب التي يشيد عليها المسلمون نكرانهم. لذلك قد شرعنا في تأليف هذا الكتيب لفحص هذا الموضوع الهام بعد استمدادنا لنعمة الله ومساعدته ولنا مزيد الأمل أنه يساعد إخواننا المسلمين كي ينبذوا الشكوك ظهرياً ويسيروا في صراط الحق المستقيم

موت المسيح على الصليب

الجزء الأول

(البراهين على حقيقة موت المسيح على الصليب)

إن حقيقة موت المسيح مشيدة على أساس متين ومثبتة بشهادتي التاريخ والكتاب المقــدس الثمين. ولأجل زيادة الإيضاح رأينا من المناسب أن نرتب البراهين على ذلك كما يأتي: ــ

(١) إن موت المسيح قد رمزت إليه التوراة وتنبأت عنه

(٢) إن المسيح نفسه قد تنبأ عن موته كأمر ضروري لا بد منه

(٣) إن المبشرين الأربعة قد ذكروه بالتفصيل والتدقيق

(٤) إن الرسل بكتاباتهم يشيرون إليه كحقيقة ثابتة وإنه ضروري لخلاص الجنس البشري

(٥) شهادة الوثنيين له

(٦) شهادة اليهود

(٧) الشهادات الغير الصريحة له من رموز وطقوس وفرائض قديمة عامة بين المسيحيين

الفصل الأول

(إن موت المسيح قد رمزت إليه التوراة وتنبأت عنه)

إن من طالع شريعة موسى بإمعان يلاحظ جيداً أن مغفرة الخطايا لها علاقة شديدة بالذبائح وسفك الدم ولذا قيل: بدون سفك الدم لا تحصل مغفرة

وبالحقيقة إننا نقدر أن نقول أن تعليم الذبائح له المقام الأول في كل الأديان القديمة ليس عند الوثنيين فقط بل عند بني إسرائيل أيضاً حتى أن شريعة موسى تصرح بكل إيضاح قائلة « إن نفس الجسد هي في الدم فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم لأن الدم يكفر عن النفس » (لا ١٧: ١١)

قد أراد الله بممارسة الذبائح أن يعلم الناس أن لا يخضعوا ذواتهم ويقدموا قلوبهم ونفوسهم له فقط بل إن الخطية التي قد سلبت ودنست حقوق الله بطمع وجسارة تعد مكرهة وجريمة لا تغتفر أمام الله حتى أن كل خاطئ يقع تحت العقاب بواسطتها. فالكفارة عنها أو المجازاة عليها تستدعي بعدل عقاب أو ذبح الخاطئ الأثيم وفي الوقت عينه أن الله رحمة منه رتب أن يقبل عوضاً باراً لا لوم فيه بدلاً عن حياة الخاطئ. ويظهر أيضاً أن الشريعة الموسوية تشير إلى أن الحيوان المذبوح في المذبح لكونه طبيعياً غير معرض للخطية وغير قابل للقداسة لا يعتبر بذاته عوضاً كافياً عن الخاطئ. وبالنتيجة أنه غير كافٍ للتكفير والترضية عن الخطية بل هو رمز وإشارة إلى الكفارة. ومما يثبت هذا ما قيل في سفر اللاويين ص ٥: ١١ من أنه إذا كان رجل فقير لم تنل يده حيواناً جاز له أن يقدم عوضه كمية زهيدة من الدقيق قربان خطية. فلو كانت حياة الحيوان

الذبيح مساوية حقيقة لحياة الخاطئ والواسطة الفعالة للتكفير عنه ما جاز استبدالها بقليل من الدقيق لذلك إذا كان الحيوان المذبوح رمزاً فقط وكتابة إلى.. حمل الله.. الحقيقي والكفارة الفعالة الحقيقية فتقدمة الدقيق هي عوض ملائم

وعلى هذا قد صرح الله في كتابه العزيز أنه لا يبالي كثيراً بالذبائح المادية البسيطة بل بالصفات الروحية كالتوبة والإيمان والشكر التي يجب أن تكون الذبائح رموزاً لها في الذين يقدمون الذبائح بمخاطبة بني إسرائيل بهذه العبارات المؤثرة ـ: « اسمع يا شعبي فأتكلم. يا إسرائيل فاشهد عليك الله إلهك أنا. لا على ذبائحك أوبخك فإن محرقاتك هي دائماً قدامي. لا آخذ من بيتك ثوراً ولا من حظائرك أعتدة. لأن لي حيوان الوعر والبهائم على الجبال الألوف قد علمت كل طيور الجبال ووحوش البرية عندي. إن جعت فلا أقول لك لأن لي المسكونة وملؤها. هل آكل لحم الثيران أو أشرب دم التيوس. اذبح لله حمداً وأوف العلي نذورك. وادعني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني ».. (مز ٥٠: ٧ ــ ١٥)

لذلك إذا كان الله لا يبالي بالذبائح المادية المجردة ولا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا.. (عب ١٠: ٤) فذبائح الخطية التي عينتها الشريعة الموسوية تعتبر رموزاً ونبوات عن ذلك المخلص الإلهي المقدس يسوع المسيح الذي حسبما نتعلم من الإنجيل قد.. افتدنا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا.. (غل ٣: ١٣)

وهذه قد ثبتت فعلاً عندما جاء المسيح إلى العالم إذ قدمه النبي يوحنا المعمدان إلى أمة اليهود بقوله العجيب. « هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم » (يو ١: ٢٩) ونقرأ مثل هذا في رسالة أفسس ٥: ٢ « كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة الله رائحة طيبة ».

انظر أيضاً مت ٢٦: ٢٨ ورو ٣: ٢٥ وكو ١: ٢٠ وعب ٩: ١٢ و٢٢ و١٠: ١٩ و١بط ١: ١٨ و١٩ و١يو ١: ٧

ولم تقصر التوراة في هذا المضمار بل صرحت على رؤوس الأشهاد أن نجاة الإنسان في الاستقبال من الخطية وإبليس ستحمل المخلص الموعود به مشقات وآلام جمة حتى الموت الزؤام

إن أول نبوة عن مجيء المخلص موجودة في خطاب الله جل شأنه للشيطان في جنة عدن بقوله: وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه (تك ٣: ١٥)

وترى في ما يلي الإشارات الواضحة إلى آلام المخلص الموعود به وموته (مز ٢٢: ١٢ ــ ١٤).. أَحَاطَتْ بِي ثِيرَانٌ كَثِيرَةٌ أَقْوِيَاءُ بَاشَانَ اكْتَنَفَتْنِي. فَغَرُوا عَلَيَّ أَفْوَاهَهُمْ كَأَسَدٍ مُفْتَرِسٍ مُزَمْجِرٍ. كَالْمَاءِ انْسَكَبْتُ انْفَصَلَتْ كُلُّ عِظَامِي صَارَ قَلْبِي كَالشَّمْعِ قَدْ ذَابَ فِي وَسَطِ أَمْعَائِي. يَبِسَتْ مِثْلَ شَقْفَةٍ قُوَّتِي وَلَصِقَ لِسَانِي بِحَنَكِي وَإِلَى تُرَابِ الْمَوْتِ تَضَعُنِي لأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِي كِلاَبٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ أُحْصِي كُلَّ عِظَامِي وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّ يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ

(اش ٥٣: ١ ــ ١٢).. « مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ. نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيهِ مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ. لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً مِنَ اللَّهِ وَمَذْلُولاً, وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا

تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْماً وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ. أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحُزْنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ. مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا لِذَلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ »

فبناءً على نبوات كهذه تكلم الرسل في تبشيرهم بالإنجيل بعد ذلك عن آلام المسيح وموته وقيامته كأمور كان لا بد من حدوثها إتماماً للمقاصد الإلهية المسطرة سابقاً في الكتاب المقدس كما ترى إذ خاطب بطرس اليهود بقوله: « وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألم المسيح قد تممه هكذا » (أع ٣: ١٨) وما تقرأه في خطاب القديس بطرس للملك اغريباس مصرحاً أنه بكرازته بالإنجيل لم يقل.. « شيئاً غير ما تكلم به الأنبياء وموسى أنه عتيد أن يكون أن يؤلم المسيح يكن هو أول قيامة الأموات » (أع ٢٦: ٢٢ و٢٣)

فيظهر جلياً مما تقدم للقارئ المجتهد أنه إذا أنكر موت المسيح ينكر المسيح الموعود به والمنتظر طويلاً ويقطع السلسلة التي تربط التوراة بالإنجيل وينزع كل طقوس الذبائح (المثبتة شرعاً من كتب النبي موسى والموجودة من أيام القدم

بين أكثر الأمم) وأهميتها العظمى وماهيتها الحقيقية بجعله إياها عرضاً بدون جوهر ورمزاً بدون مرموز إليه ونبوة بدون إتمام لها

ولكن إذا كان المسيح مات كفارةً عن خطايا الجنس البشري فالتوراة والإنجيل يتفقان كسؤال وجواب عليه وتحل معميات الذبائح الوثنية على أحسن منوال

الفَصْلُ الثَّانِي

(إن المسيح نفسه قد تنبأ عن موته كأمر ضروري لا بدّ منه)

كثيراً ما تكلم السيد المسيح عن موته المزمع أن يكون مدة خدمته العامة على الأرض ومع أنه تكلم عمومياً عن موته في البداءة وفي أحوال مختلفة بطريقة مجازية قد أشار إليه أيضاً بكل صراحة ووضوح خصوصاً عند نهاية مدة خدمته حينما صار إيمان تلاميذه بأنه هو المسيح الشخص الإلهي ذاكراً كل شيء بالتفصيل عن موته على الصليب

نرى في ما يلي الشهادات الهامة الدالة على موت المسيح فقط (يوحنا ٢: ١٩) « أجاب يسوع وقال لهم (لليهود) انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه » فالرسول يوحنا قد فسر هذا بقوله في عدد ١: « وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده »

(يوحنا ٣: ١٤ و١٥) قال يسوع لنيقوديموس الفريسي عندما خاطبه « وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية »

(يوحنا ٦: ٥١) قال يسوع لليهود « والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم »

(يوحنا ١٠: ١٤ و١٥ و١٧ و١٨) « أما أنا فإني الراعي الصالح وأعرف خاصتي وخاصتي تعرفني كما أن الآب يعرفني وأنا أعرف الآب وأنا أضع نفسي عن الخراف... لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً. هذه الوصية قبلتها من أبي »

وأما وقت موته وأحواله فمعينة بكل إيضاح في إنجيل متى ١٦ و١٧ عندما شرع المسيح يتكلم علانية وصريحاً عما كان ضرورياً أن يقاسيه من الآلام الشديدة والموت الرائع. إن الكتاب يخبرنا أنه عندما اعترف سمعان بطرس بإيمانه بالمخلص علانية بقوله « أنت هو المسيح ابن الحي » أجابه يسوع قائلاً « طوبى لك يا سمعانُ ابنَ يونا إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات » ونقرأ بعد هذا على الفور ما يأتي:

(متى ١٦: ٢١) « من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم »

(متى ١٧: ٢٢ و٢٣) ونقرأ بعد إيراد قصة تجلي سيدنا يسوع المسيح أمام ثلاثة من تلاميذه ما يأتي « وفيما هم يترددون في الجليل قال لهم يسوع ابن الإنسان سوف يسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم فحزنوا جداً »

(متى ٢٠: ١٧ ــ ١٩) « وفيما كان يسوع صاعداً إلى أورشليم أخذ الاثني عشر تلميذاً على انفراد في الطريق وقال لهم: ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن

الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الأمم لكي يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه وفي اليوم الثالث يقوم »

(متى ٢٦: ٢ و٢) « ولما أكمل يسوع هذه الأقوال كلها قال لتلاميذه تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الإنسان يسلم ليصلب »

(متى ٢٦: ٣٠ ــ ٤٢) إن المسيح في المساء الذي قبل موته خرج مع تلاميذه إلى بستان جثسيماني وهناك « خرّ على وجهه وكان يصلي قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذا الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت. فمضى أيضاً ثانيةً وصلى قائلاً يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك »

(لوقا ١٨: ٤ ــ ١١) ونقرأ بعد هذه الصلاة بقليل حينما أُرْسلَ القواد والجند لكي يمسكوا يسوع وكانوا بقرب البستان أن.. يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه قال لهم من تطلبون؟.. وعندما استل سمعان بطرس سيفه ليدافع عن نفسه وعن معلمه. قال له يسوع « اجعل سيفك في الغمد. الْكَأْسُ التي أعطاني الآب ألا أشربها؟ »

فمما تقدم نتعلم بوضوح لا يقبل الغلط أن سيدنا يسوع المسيح عرف سلفاً أن موتاً أليماً كان ينتظره وأن طبيعته البشرية كانت تشمئز من احتقار مفرط كهذا وآلام لا تطاق ومع ذلك أسلم نفسه طوعاً لعلمه أن هذه هي مشيئة أبيه السموي وبكل خضوع شرب الكأس المر كما قدمتها يد الآب

وترينا هذه الفقرات أيضاً أن الموت المزمع أن يحتمله ليس لفائدته الخصوصية بل لفائدة الآخرين حتى أن موته على تلك الخشبة الملعونة الذي

قاده إليها بغض أعدائه اليهود كان بتدبير رحمة الله العظيمة لاستدرار البركة العظمى للجنس البشري كخطية إخوة يوسف في بيعهم أخاهم عبداً وتحويلها إلى واسطة حفظت أسرتهم وسكان كل الأرض من الهلاك جوعاً

الفصل الثالث

(إن صلب المسيح ودفنه وقيامته من الأموات مثبتة بدون شك
ومدونة بالتدقيق في كل من البشائر الأربع)

(أ) ﴿ إلقاء القبض على المسيح والحكم عليه بالموت ﴾

وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحد من الاثني عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ. وكان مسلمه قد أعطاهم علامةً قائلاً الذي أقبله هو هو. أمسكوه وامضوا به بحرص. فجاء للوقت وتقدم إليه قائلاً يا سيدي يا سيدي. فالقوا أيديهم عليه وأمسكوه فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة. وللوقت في الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس. فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجميع ما يرضيهم أطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعد ما جلده ليصلب. فمضى به العسكر إلى داخل الدار التي هي دار الولاية وجمعوا كل الكتيبة. وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه

(مر ١٤: ٤٣ ــ ٥٣ و١٥: ١ و١٥ و١٦ و٢٠. انظر أيضاً مت ٢٦: ٤٧

و٥٥ و٥٧ و٢٧: ١ و٢ و٢٢ ــ ٢٨ و٣١ ولــو ٢٢: ٤٧ و٤٨ و٥٢ ــ ٥٤ و٦٦ ــ ٧١ و٢٣: ١ و٢ و١٣ ــ ١٦ و١٨ و٢٠ ــ ٢٤ ويو ١٨: ٣ ــ ٥ و١٢ و١٣ و٢٤ و٢٨ و١٩: ١ ــ ٣ و٦ ــ ٨ و١٢ و١٦)

(ب) ﴿ صلب المسيح وموته ﴾

وجاءُوا به إلى موضع جلجثة الذي تفسيره موضع جمجمة. وكان عنوان علته مكتوباً ملك اليهود. وصلبوا معه لصيْن واحداً عن يمينه والآخر عن يساره. فتم الكتاب القائل وَأُحْصِــيَ مَــعَ أَثَمَةٍ. ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة. فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح وانشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل. ولمــا رأى قائــد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال حقاً كان هذا الإنسان ابن الله

(مــر ١٥: ٢٢ و٢٦ ــ ٢٨ و٣٣ و٣٧ ــ ٣٩ ومــت ٢٧: ٣٣ ــ ٣٧ و٤٥ و٤٦ و٥٠ و٥٢ و٥٤ و٥٥ ولو ٢٣: ٣٣ ــ ٣٥ و٤٦ ــ ٤٩ ويو ١٧: ١٧ ــ ١٩ و٢٥ ــ ٣٠ و٣٢ و٣٧)

(ج) ﴿ دفن يسوع المسيح ﴾

ولما كان المساء إذ كان الاستعداد أي ما قبل السبت جاء يوسف الذي من الرامــة مشــير شريف وكان هو أيضاً منتظراً ملكوت الله فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع فتعجــب بيلاطس أنه مات كذا سريعاً فدعا قائد المئة وسأله هل له زمان قد مات. ولما عرف من قائد المئة وهب الجسد ليوسف فاشترى كناناً فأنزله. وكفنه بالكتان ووضعه في قبر كان منحوتاً في صخرة

ودحرج حجراً على باب القبر. وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسي تنظران أين وضع » (مـر ١٥: ٤٢ ــ ٤٧) انظر أيضاً متى ٢٧: ٥٧ ــ ٦٦ ولو ٢٣: ٥٠ ــ ٥٣ و٥٥ ويـو ١٩: ٣٨ ــ ٤٣

(د) ﴿ قيامة يسوع المسيح من الأموات ﴾

وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسـالومة حنوطـاً ليـأتين ويدهنه. ولما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً حلة بيضاء فأندهشـن فقـال لهـن لا تندهشن أنتنّ تطلبن يسوع الناصري المصلوب قد قام ليس هو ههنا هوذا الموضع الذي وضـعوه فيه. وبعد ما قام باكراً في أول الأسبوع ظهر أولاً لمريم المجدلية التي كان قد أخرج منها سـبعة شياطين. وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية. أخيراً ظهـر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قـام. وقال لهم اذهبوا إلى العالم اجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها من آمن واعتمد خلص ومـن لـم يؤمن يدن

(مر ١٦: ١ و٥ و٦ و٩ و١٢ و١٤ ــ ١٦) وانظر أيضاً (مت ٢٨: ١ ــ ٦ و٩ و٢١ ــ ٢٥ ولو ٢٤: ١٢ و١٣ و١٥ و٣٠ ــ ٣٤ و٣٦ ــ ٤٧ ويـو ٢٠: ١١ ــ ١٦ و١٩ ــ ٢١ و٢٦ ــ ٢٩)

(تنبيه) نرجو من القارئ أن يراجع جميع الشهادات المذكورة بالأرقام في هذا الفصل فـي الإنجيل الشريف

إننا نوجه أنظار القارئ إلى أمريْن مهميْن

(الأوّل) إن الإنجيليين قد علقوا أهمية عظمى على موت المسيح وقيامته لأنك ترى أن مرقس ويوحنا لم يذكروا ولادته ومتى ويوحنا لا يذكران صعوده لكنهم أفراداً قد ذكروا أحوال موته بالتفصيل وأوردوا البراهين الدامغة على قيامته والشواهد العديدة التي تبين أن عدداً ليس بقليل من الناس قد شاهدوه عياناً وتكلموا معه فماً لفم في مدة الأربعين يوماً بعد قيامته

(الثّاني) إن ما أثبته الإنجيليون الأربعة يناقض ظن إخواننا المسلمين من أن رجلاً شُبه لليهود بأنه هو المسيح فأخذوه وصلبوه. وهذا الظن منقوض للأسباب الآتية: ــ

(١) إن قواد اليهود اعتنوا اعتناءً خصوصياً لتجنب الوقوع في هذا الغلط إذ طلبوا من الخائن يهوذا الذي كان يعرف سيده معرفة تامة أن يدلهم على المسيح المطلوب بعلامة اتفقوا عليها وهو أن الشخص الذي يقبله يكون هو المسيح وهذا حصل كما نصّ الكتاب والتاريخ

(٢) إن المسيح حُوكم في رائعة النهار في جلسات متعددة على التهم الكثيرة التي وجهها إليه المشتكون عليه من اليهود الذين حثتهم عداوتهم إليه أن يتأكدوا أنه هو الشخص المطلوب حقيقة ومعرفتهم التامة بشخصه مكنتهم من ذلك أيضاً

(٣) إن اثنين من تلاميذه تبعاه إلى دار الحكم وكذلك بعضاً من أعز أصدقائه وأمه لازموه وكانوا بقرب الصليب حتى أسلم الروح. أما قَدَرَ هؤلاء جميعهم على أن يعرفوا أن المصلوب هو غير المسيح (إذا كان ما يزعمه إخواننا المسلمون صحيحاً)؟ ولو كان عندهم أدنى ريب في شخص المسيح وقتئذ لكانت أحزانهم قد تبددت وقلوبهم قد تعزَّت وباتوا قريري العيون مجبوري الخواطر

بخلاف ما رأيناه منهم كما هو مسطور

(٤) إن الظواهر الطبيعية الغير الاعتيادية التي حصلت عند الصلب تعتبر حجة قاطعة وبرهاناً كافياً على أن الشخص المصلوب هو يسوع نفسه لا سواه

(٥) إن الذين أنزلوا جسد المسيح عن الصليب ليسوا أعداءَه الذين لا يعرفونه بل هم أصدقاؤه الذين كانوا يعرفونه حق المعرفة وكان لهم فرصة ملائمة أن يعرفوا أن المصلوب هو غير المسيح لو كان الأمر صحيحاً

(٦) إن المسيح بعد قيامته قد لقيه عدد كبير من الناس الذين كان لهم صداقة عظيمة ومودة جسيمة له قبل موته بالمصلوب في أوقات متفرقة

الفصل الرابع

(إن الرسل بكتاباتهم يشيرون إلى موت المسيح وقيامته
كثيراً كحقيقة وأنه ضروري لخلاص البشر)

إننا قد رأينا من الملائم أن نورد (أولاً) الآيات الدالة على موت المسيح وقيامته (وثانياً) الآيات الدالة على علاقة هذا الأمر في خلاص الإنسان لكي يكون للقارئ إلمام كاف في هذا الموضوع

(أ) الإشارات الواردة في وعظ وكتابة الرسل إلى موت المسيح وقيامته كحقائق تاريخية

(اع ٢: ٣٠ و٣١ و٣٢ و٣٦) قال الرسول بطرس لليهود في يوم الخميس

هكذا: « فإذ كان (داود) نبياً وعلم أن الله حلف له بقسم أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح أنه لم تترك نفسه في الهاوية ولا أرى جسده فساداً فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك. فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً »

(أع ٣: ١٣ ـ ١٥) خاطب بطرس الشعب بعد ما شفى الأعرج قائلاً « إن إله إبرهيم واسحق ويعقوب اله آبائنا مجد فتاه يسوع الذي أسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس وهو حاكم بإطلاقه ولكن أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل ورئيس الحياة قتلتموه الذي أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك »

(أع ٤: ١٠) وشهد بطرس عندما فحصه مجلس من أقطاب اليهود ورئيس الكهنة قائلاً « فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم الذي أقامه الله من الأموات بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً »

(أع ١٣: ٢٨ ـ ٣١) وقال القديس بولس لليهود في إنطاكية بيسيدية « ومع أنهم (يهود أورشليم) لم يجدوا علة واحدة للموت طلبوا من بيلاطس أن يقتل ولما تمموا كل ما كتب عنه أنزلوه عن الخشبة ووضعوه في قبر ولكن الله أقامه من الأموات. وظهر أياماً كثيرة للذين صعدوا معه من الجليل إلى أورشليم الذين هم شهود عند الشعب »

(١كو ١: ١٣) « أَلَعَلَّ بُولُسَ صُلِبَ لأَجْلِكُمْ »

(اكو ٢: ٢) « لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلاّ يسوع المسيح وإياه مصلوباً »

(اكو ٦: ١٤) « والله قد أقام الرب وسيقيمنا نحن أيضاً بقوته »

(اكو ١١: ٢٦) « فإنكم كل ما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء »

(٢كو ٤: ١٠ ــ ١٤) « حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا. لأننا نحن الأحياء نسلم دائماً للموت من أجل يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت إذاً الموت يعمل فينا ولكن الحياة فيكم... عالمين أن الذي أقام الرب يسوع سيقيمنا نحن بيسوع ويحضرنا معكم »

(٢كو ١٣: ٤) « لأنه وإن كان قد صلب من ضعف لكنه حي بقوة الله »

(غل ١: ١) « بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات »

(في ٢: ٨) « وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب »

(في ٣: ١٨) « لأن كثيرين يسيرون... وهم أعداء صليب المسيح »

(كو ١: ١٨) « الذي هو البداءة بكر من الأموات لكي يكون هو متقدماً في كل شيء »

(اتس ١: ١٠) « وتنتظروا ابنه من السماء الذي أقامه من الأموات يسوع الذي ينقذنا من الغضب الآتي »

(١تس ٢: ١٥) « الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن »

(١تي ٦: ١٣) « المسيح يسوع الذي شهد لدى بيلاطس البنطي بالاعتراف الحسن »

(٢تي ٢: ٨) اذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود

(عب ١٣: ٢٠) وإله السلام الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم ربنا يسوع المسيح بدم العهد الأبدي

(١بط ١: ١١) روح المسيح الذي فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها

(١بط ١: ٢١) الله أقامه من الأموات وأعطاه مجداً.

(١بط ٥: ١) والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد أن يعلن

(رؤ ١: ١٨) الحي وكنت ميتاً وها أنا حي إلى أبد الآبدين

(رؤ ٥: ١٢) مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة

(ب) الشهادات الواردة الدالة على علاقة موت المسيح وقيامته بخلاص البشر

(رو ١: ٤) وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات يسوع المسيح ربنا

(رو ٤: ٢٤ و٢٥) بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيحسب لنا الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا

(رو ٥: ٨) ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا

(رو ٦: ٣ و٤) أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموتـــه فــدفنا معـــه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم للمسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فـــي جـــدة الحياة

(رو ٦: ١٠ و١١) لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرة واحدة والحياة التي يحياهـــا فيحياها الله. كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء الله بالمسيح يسوع ربنا

(رو ١٠: ٩) لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك إن الله أقامه من الأموات خلصت

(١كو ١: ١٨) فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله

(١كو ١: ٢٣ و٢٤) « نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالـــة وأمـــا للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله »

(١كو ٥: ٧) « لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا »

(١كو ٨: ١١) فيهلك بسبب علمك الأخ الضعيف الذي مات المسيح من أجله »

(١كو ١٥: ٣ ــ ٨) « فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات مـــن أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب وأنه ظهـــر لصـــفا ثـــم للاثني عشر وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمئة أخ أكثرهم باق إلى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا »

(١كو ١٥: ١٧ و٢٠ ــ ٢٢) « وإنْ لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم أنتم بعد في خطاياكم. ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين فإنه إذ الموت بإنسان بإنسان أيضاً قيامة الأموات لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع »

(٢كو ٥: ١٤ و١٥) « إذ نحن نحسب هذا أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع إذاً ماتوا وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام »

(غل ٢: ٢٠) « مع المسيح صلبت »

(غل ٣: ١٣) « المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة »

(غل ٦: ١٤) « وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلاّ بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم »

(أف ٢: ٥) « ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح »

(أف ٢: ١٣ و١٦) « أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح. ويصالح الاثنين (اليهود والأمم) في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به »

(أف ٥: ٢) « أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة »

(كو ١: ٢٠) « وإن يصالح به (المسيح) الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه »

(كو ٢: ١٢ و١٤) « التي فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض... مسمراً إياه بالصليب »

(كو ٣: ١) « فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فأطلبوا ما فوق »

(١تس ٤: ١٤) « لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضاً معه »

(١تس ٥: ١٠) « الذي مات لأجلنا حتى إذا سهرنا أو نمنا نحيا جميعاً معه »

(١تي ٢: ٦) « الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع »

(٢تي ٢: ١١) « إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه »

(عب ٢: ٩ و١٤ و١٨) « نراه (يسوع) مكللاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد. فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس. لأنه في ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين »

(عب ٥: ٨) « مع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به »

(عب ٧: ٢٧) « لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدم نفسه »

(عب ٩: ١٢) « وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً »

(عب ٩: ١٤ ــ ١٦ و٢٦ ــ ٢٨) « فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي. ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد لكي يكون المدعوون إذ صار موت لفداء التعديات التي في العهد الأول ينالون وعد الميراث الأبدي لأنه حيث توجد

وصية يلزم بيان موت الموصي. فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه وكما وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة هكذا المسيح أيضاً بعدما قدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه »

(عب ١٠: ١٠ و١٤) « فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة. لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين »

(عب ١٠: ١٩ و٢٠) « فإذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده »

(عب ١٢: ٢) « يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي »

(عب ١٣: ١٢) « لذلك يسوع أيضاً لكي يقدس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب »

(١بط ١: ٣ و١٩) « الله... ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات. افتديتم بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح »

(١بط ٢: ٢١ و٢٤) « فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته. الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر الذي بجلدته شفيتم »

(١بط ٣: ١٨) « فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الأئمة لكي يقربنا إلى الله مماتاً في الجسد ولكن محيىً في الروح »

(١بط ٤: ١) « فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد تسلحوا أنتم أيضاً بهذه النية »

(١يو ١: ٧) « دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية »

(١يو ٣: ١٦) « وضع (يسوع) نفسه لأجلنا فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الأخوة »

(١يو ٤: ١٠) « في هذا هي المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا »

(رؤ ١: ٥ و٧) « النعمة لكم... من يسوع المسيح الشاهد الأمين البكر من الأموات... الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه. وستنظره كل عين والذين طعنوه »

(رؤ ٥: ٩) مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك »

(رؤ ٧: ١٤) « هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة وقد غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم في دم الخروف »

فمما تقدم من الآيات لا يقدر القارئ الكريم إلاّ أن ينظر أن موت المسيح على الصليب وقيامته من الأموات قد اعتبرهما المسيحيون الأولون (الذين عاشوا في الجيل الذي وقعت فيه الحوادث) حقيقة مشهورة راهنة لا يعارض فيها أحد وأن رؤساء اليهود قد اتهموا علانية بموت المسيح وصلبه ولم يقدروا أن ينفوا هذه التهمة. والآيات السالفة المقدسة تبرهن صريحاً بحسب وعظ وكتابات الرسل وإيمان الكنيسة الأولى أن نهاية حياة يسوع المسيح الأرضية هذه لم تكن أمراً غير منتظر ولا كان يمكن أن تكون غير الصلب بل هي جوهرة ضرورية قد

عينتها مشورة الله الأبدية سابقاً كواسطة خلاص الجنس البشري لأن المسيح لا يمكن أن يكون مخلصاً وفادياً لو لم يهرق دمه الثمين لأجل خطايانا وينير الحياة والخلود بواسطة قيامته المجيدة

فينتج مما تقدم جلياً أن كل من يصر على أن المسيح أرسل من الله إلى العالم ورجع إليه بدون أن يقدم جسده ذبيحة على الصليب لم يفهم العمل العظيم الذي أتى المسيح إلى العالم ليكمله ويقاوم آيات الإنجيل الواضحة وشهادات التاريخ الراهنة على خط مستقيم

الفصل الخامس

(شهادة الوثنيين لحقيقة موت المسيح)

إن صلب المسيح هو حقيقة تاريخية ليست مؤسسة فقط على شهادة المسيحيين وإيمانهم بل هي مثبتة من كتابات الوثنيين القديمة

فإن تاسيتوس المؤرخ الوثني المشهور الذي ولد بعد موت المسيح بعشرين سنة كتب تاريخ الإمبراطورية الرومانية من موت أوغسطس قيصر إلى موت نيرون أي من سنة ١٤ ــ ٦٨ مسيحية وذكر موت المسيح في تاريخه هذا كما ترى أن المسيحيين في أواخر الجيل ابتدأوا ينتشرون بسرعة في أقسام كثيرة من الإمبراطورية وبالنظر لضرر عبادة الأوثان (ديانة الإمبراطورية وقتئذ) حمل المؤرخ المذكور على أن يعتبر المسيحيين ذوي شأن مهم ويشير إليهم ذاكراً إياهم بين الحوادث المهمة في تلك الأيام في الفصل الخامس عشر من مؤلفه موضحاً بما يأتي كيفية تسميتهم مسيحيين بقوله « هذا الاسم مشتق من المسيح الذي

قُتل بأمر بيلاطس البنطي الوالي في أيام حكم طيباريوس » هكذا كانــت حقيقــة مــوت المســيح معروفة وكيفية موته صلباً مشهورة جداً عند العموم حتى أن الإمبراطور الروماني كــان يعرفهــا تمام المعرفة وهذا يظهر جلياً من قصة استشهاد اغناطيوس أسقف إنطاكية التي تخبرنا أنــه لمــا غزا الإمبراطور تراجان الأرمن والفرتيين ودخل إنطاكيــة ســنة ١٠٧ أو ١١٦ بعــد المســيح استحضر الأسقف الشيخ المذكور إليه ليفحصه فمثل هذا بين يديه وإذ حكم عليه أن يلقي للأســود لتفترسه شهد الأسقف بأمانة ليسوع المسيح وأظهر اعتقاده بأنه سيقبل حالاً فــي ملكوتــه فارتبــك الإمبراطور الوثني قائلاً « هل تعني أنت ذاك الذي صُلب بأمر بيلاطس البنطي »؟

وانتشرت الديانة المسيحية بعد المسيح بنحو قرن انتشاراً عظيماً حتى أن الوثنيين رأوا أنه من الضروري أن يؤلفوا الكتب ضدها علاوة على اضطهادهم المتمسكين بتعاليمها. وأول كتــاب ظهر من هذا النوع ألفه فيلسوف يوناني اسمه سلسوس وأكثر الاعتراضات التــي حواهــا ضــد حقائق الديانة المسيحية كان يعيدها الشعب اليهودي والوثني بنفسها جيلاً بعد جيــل وهكــذا فعــل الكتبة المسلمون بعدهم. ووجه سلسوس المذكور سهام اعتراضاته خصوصاً إلى اعتقاد المسيحيين « بأن المسيح هو الإله المتجسد » وإثباتاً لدعواه استشهد من الكتاب المقدس بأن أحد التلاميذ أنكر المسيح وآخر خانه وأنه أخيراً حكم على المسيح بالموت. ونسب المؤرخ عجائب المسيح وقيامتــه من الأموات إلى الغش والتزوير وكان يسخر بالمسيح بتسميته إياه « بالمصلوب » وكان يعتــرض على قيامته من الأموات بقول الكتاب أن بعضاً من التلاميذ رأوا ملاكيْن في القبــر وآخــرين رأوا ملاكاً واحداً.

وكان معاصراً لسلسوس فيلسوف يوناني وخطيب مصقع اسمه لوسيان فهذا جعــل دأبــه الانتقــاد والسخرية بالمبالغات التي ظهرت في عصره وخصوصاً في ما يتعلق منهــا بالفلســفة والــدين. ولكونه من الابيكوريين لم يقدر أن يفهم إيمان ورجاء المســيحيين بحيــاة خالــدة بعــد المــوت واستعدادهم للاستشهاد في سبيل ديانتهم وشوقهم الروحي ومحبتهم الأخوية الخ ولذلك سخر بهــم وحسبهم شعباً منخدعاً يعتد بعالم مستقبل عوضاً عن أن يتمتع بالعالم الحاضر ووصفهم في كتابــه (دي مورتي بركريني) بقوله « قد رفضوا الآلهة اليونانية وصاروا يعبــدون سفســطياً مصــلوباً ويعيشون بحسب شرائعه »

فهذه الشهادات من كتابات الوثنيين القديمة تبين جلياً أن العالم بأجمعه من عهد المسيح فما فوق يعتقد بلا أدنى شك أن موت المسيح حصل حقيقة كما هو مشروح في بشائر الإنجيل الأربع. وأن الوثنيين كانوا غالباً يزدرون بالمسيحيين لسبب الموت المهين الذي كابده مؤسس ديانتهم

فالمسيحيون كانوا يرتضون ويميلون لرفض عقيدة موت المسيح لكي ينجــوا مــن هــذا الاحتقار لولا أنها حقيقة تاريخية لا يمكنهم إنكارها ولولا أنهم كانوا أول من يحبون الحق

ومما يستحق الاعتبار هو أن المؤرخ تاسيتوس في كتابته تاريخه الذي لم يزل في أذهــان كثيرين كان له واسطة للوصول إلى سجلات الحكومة حيث كانت تحفظ أخبار الحكام الرومــانيين الرسمية. وكانت هذه الأخبار ترد من كل مقاطعة ومن ضمنها مقاطعة فلسطين ولذلك كان لكتاباته في هذا الموضوع اعتبار عظيم بالنظر لعلاقتها بالأخبار الرسمية والحقيقة المعروفة عند العمــوم. ولنا دلائل تاريخية

تبرهن أن الأخبار التي أرسلها الوالي بيلاطس البنطي إلى الإمبراطور طيباريوس تحتوي على ذكر عجائب المسيح وصلبه وقيامته لأن فلاڤيوس جوستينوس الملقب بالفيلسوف والشهيد في دفاعه الذي رفعه سنة ١٣٩ إلى الإمبراطور انطونينوس بيوس عن الديانة المسيحية والمسيحيين قد أشار إلى تقرير بيلاطس المحفوظ في سجلات رومية إثباتاً لما ذكره عن عجائب المسيح والكفارة التي عملها بموته وقيامته

وقد أشار إلى هذا بعينه العلامة ترتوليانوس من قرطاجنة بعد ذلك بستين سنة في دفاعه الذي خاطب به والي إفريقيا الشمالية الرومانية رسمياً

الفصل السادس

(شهادة اليهود لحقيقة موت المسيح)

إن فلاڤيوس يوسيفوس من أشهر مؤرخي اليهود وُلد في أورشليم بعد موت المسيح بقليل ومع أنه كان من نسل الكهنة صار والياً للجليل وعمل أعمالاً عظيمة في الحرب الأهلية التي انتشبت بين اليهود والرومانيين وهو لم يؤلف تاريخ هذه الحرب فقط التي انتهت بخراب أورشليم وتفرق اليهود بل سطر أيضاً تاريخ الأمة اليهودية في عشرين مجلداً من بدايتها إلى حكم الإمبراطور نيرون بعد موت المسيح بنحو ثلاثين سنة وأشار في تاريخه المذكور آنفاً إلى يسوع المسيح وسابقه يوحنا المعمدان وفي تلك العجالة نفسها أشار أيضاً إلى موت المسيح المر ونتائجه بقوله « إن بيلاطس حكم على المسيح بالصلب بطلب رؤساء الشعب بيننا. والذين أحبوا المسيح أولاً لم يتركوه وها هم باقون للآن يدعون مسيحيين نسبةً إليه »

إن القرآن نفسه يشهد بأن اليهود يحققون أنهم قتلوا المسيح في سورة النساء بقوله «وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً. وبكفرهم وقولهم علـــى مـــريم بهتانـــاً عظيماً. وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله»

حتى أن اليهود عموماً لا يعرفون يسوع المسيح ولا يتكلمون عنه إلا كمعلق احتقـــاراً لـــه غير ذاكرين اسمه المجيد ليومنا هذا

ولنا كتاب صغير قديم العهد كتبه بالعبرية الحاخام يوحنا بن زكا تلميذ هليل الشـــهير فـــي أورشليم ملآن من السباب والنميمة ضد يسوع وأمه مريم وربيبه يوسف « يدعى سيرة حياة يسوع الناصري »

فهذا الكتاب يذكر أن الملك وحكماء اليهود أو حاخاماتهم حكموا على يسوع بالموت لأنـــه جدف بقوله « أنا ابن الله أنا الله. أنا قد أتيت إلى أورشليم لأبطـــل الأعيـــاد والمواســـم المقدســـة ولأصنع شريعة جديدة لأورشليم وأنا سأكفّر بموتي عن كل الخطايا والذنوب وأقوم من الأموات »

ومذكور أيضاً في نفس هذه السيرة أنه لما اقتيد يسوع للموت في مساء يوم الفصـــح كـــان يصرخ اليهود أمامه « فلتهلك كل أعدائك يا رب » وإنهم وقتئذٍ علقوا يسوع على خشـــبة خـــارج أورشليم حسب أمر الملك ورؤساء اليهود وأن كل إسرائيل نظروا هذا

إن التلمود (كتاب مؤلف من مجلدات عديدة يحتوي على تعاليم وشرائع اليهود وأحـــاديثهم وهو معتبر عندهم أنه مقدس وقد كتب بعدما انقطعت الأنبياء عنهم بمدة طويلة) قد ذكـــر عرضـــاً صلب يسوع المسيح

ولا مشاحة في أن اليهود قد حذفوا هذه الفقرات من أكثر طبعات التلمود المنتشرة في الممالك المسيحية خيفة من أنها تهيج المسيحيين ضدهم ولكنهم في بعض الطبعات المطبوعة في البلدان التي يتمتع اليهود فيها بالحرية والحماية شرعاً قد أبقوا الفقرات

فإنه في الطبعة المطبوعة في أمستردام سنة ١٦٤٠ مسيحية على وجه ٤٣ في الفصل المُسمَّى « سانهدرين » تجد الكلمات الآتية

« إنّ يسوع قد صُلب قبل الفصح بيوم واحد. ونُودي أمامه مدة أربعين يوماً أنّه سيُقتل لأنّه ساحر وقصد أن يخدع ويضل إسرائيل وأنه إذا كان أحد عنده شيء للدفاع عنه فليقدمه وبما أنه لم يتقدم أحد للدفاع عنه صُلب في مساء الفصح والحاخام (اولىلا) قدم ملاحظة على هذا بقوله « هل يحق لنا أن نفتكر أن أحداً يمكن أن يدافع عنه؟ ألم يكن مفسداً إذ قيل عن شخص كهذا « لا ترق له ولا تستره؟ » (تث ١٣: ٨) لكن يسوع مستثنى من هذا القانون لأنه كان من الأسرة المالكة »

ففقرة التلمود هذه مع أنها غير صادقة من حيثية المناداة فهي لاذة ومهمة ليس لأنها خبر يهودي مثبتاً موت المسيح على الصليب فقط بل لأنها قرار واضح أن المسيح هو من السلالة الملكية ولذلك له الحق في كل مواعيد بيت داود

الفصل السابع

(الشهادات الغير الصريحة لصلب وموت المسيح من رموز وطقوس
وفرائض قديمة عامة بين المسيحيين)

كل يعلم أن اليهود يحفظون اليوم السابع أو الأخير من الأسبوع كيوم راحة مقدس بينما أن المسيحيين منذ البداءة يقدسون اليوم الأول من الأسبوع عوض ذاك تذكاراً لقيامة يسوع المسيح من الأموات الذي بها أنار الحياة والخلود. ولا جرم أنه لا قيامة إذا لم يسبقها موت

إننا نذكر شاهداً من الشهادات التاريخية العديدة التي تثبت تقديس المسيحيين يوم الأحد عوضاً عن السبت وهاك هو

إن فلاڤيوس جوستينوس في سنة ١٣٩ مسيحية بعد ما حاول عبثاً كما ذُكر آنفاً أن يجد راحة وسلامة في نظامات الفلسفة اليونانية المتعددة صار مسيحياً

وبعدئذ استشهد لأجل إيمانه في مدينة رومية فهذا ألف في حياته رسالة دافع بها عن الديانة المسيحية ضد الديانة الوثنية ورفعها إلى الإمبراطور انطونينوس بيوس التي هي محفوظة إلى يومنا هذا. وفيها يشير إلى عبادة المسيحيين العامة بقوله « إننا نجتمع معاً يوم الأحد لأجل العبادة ودرس كتاب الله. لأن الله في مثل هذا اليوم خلق النور وكذلك فيه قام يسوع المسيح مخلصنا من الأموات وظهر لتلاميذه »

وكان يحفظ يوم الأحد بسرور تذكاراً لقيامة مخلصنا كما أن الجمعة كان يعتبر يوم صوم وصلاة لحد الساعة الثالثة بعد الظهر تذكاراً لآلام موت المسيح التي

انتهت في مثل تلك الساعة كما نقرأ في كتابات المسيحيين الأول مثلاً في رسالة عن الصوم ألفهـا ترتوليان الذي وُلد في قرطاجنة سنة ١٦٠ مسيحية

فالجمعة الحزينة وعيد القيامة التي تحفظ الآن بين كل طوائف المسيحيين تـذكاراً لمـوت وقيامة المسيح كانت تعتبر في الكنيسة الأولى مثل عيد الفصح العظيم الذي صار ذا أهمية عظمى حتى أن المسيحيين صاروا يستعدون له بالصيامات والصلوات مدات تختلف بين يوم أو يومين أو أربعين ساعة كما يخبرنا ايرينيوس وفي عصرنا هذا زادت هذه المدة إلى أربعين يوماً وبعضـهم زادها إلى أكثر لأسباب محلية. وحفظ المسيحيين لهذا العيد تذكاراً لموت المسيح وقيامته في بداءة التاريخ المسيحي لم يكن مطابقاً لنصوص الإنجيل فقط (١كو ٥: ٧ و٨ وغيرها) بل هـو مطـابق أيضاً للتاريخ القديم كما ترى ما يأتي: ــ

إن اوسابيوس المعاصر للملك قسطنطين الكبير الذي كتب تاريخ الكنيسة المسـيحية منـذ نشأتها إلى سنة ٣٢٤ يخبرنا في الكتاب الخامس من تاريخه أن أسقف سـميرنا بوليكـاربوس زار في سنة ١٦٠ انيستوس أسقف رومية عندما ظهر فرق في الوقت الذي يحفظ فيه هذا العيـد فـي المحليْن وان كلاً منهما دافع عن الوقت المعين عنده لحفظ العيد مبرهناً أنه قديم العهد في بلاده

فمن هذا يتضح لنا أن تذكار موت المسيح كان له قدم راسخة في الجيل الأول في روميـة وسميرنا (وهذا شهادة تاريخية عملية)

ولنا شهادة أخرى غير صريحة على موت المسيح وهي إجراء السرين المعمودية والعشاء الرباني اللذَين أمر بهما المسيح وصارا يمارسان عند المسيحيين قاطبة منذ تأسيس ديانتهم إلى هذا اليوم

حتى أن بولس الرسول بعد صعود المسيح للسماء بثلاثين سنة كتب في الإصحاح السادس من رسالته إلى المسيحيين في رومية قائلاً « أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة »

وعلى هذا الترتيب القديم نرى أنه حيثما يعمّد شخص بحسب ترتيب الكنيسة الإنكليزية فالصلاة الآتية تُتلى لأجله « بما أنه قد مات للخطية وعاش للبر ودفن مع المسيح في موته نتضرع إليك متخشعين أن تنعم عليه باستطاعة على صلب الإنسان القديم وعلى إبطال جسم الخطية بأسرها وكما أنه صار شريكاً في موت ابنك كذلك يصير شريكاً في قيامته »

ولما صنع الرب العشاء الرباني قال بصريح العبارة أنه يشير إلى كسر جسده وإهراق دمه وعلى مثال ذلك كتب بولس الرسول للمسيحيين في كورنثوس قائلاً « فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء » (١كو ١١: ٢٦)

إن هذا السر المقدس يُمارس بين المسيحيين عموماً منذ صعود المسيح للسماء وحيثما يمارس قسوس الكنيسة الإنكليزية في كل العالم يخاطبون المشتركين بهذا القول « وقبل كل شيء يجب عليكم أن تهدوا من قلوب خاشعة شكراً للآب والابن والروح القدس على افتداء العالم بموت وآلام مخلصنا المسيح الإله والإنسان معاً الذي أخضع نفسه حتى الموت على الصليب عنا معاشر الخطاة الأشقياء الجالسين في الظلمة وظلال الموت لكي يجعلنا أولاداً لله ويرفعنا إلى الحياة الأبدية. ولكل نتذكر دائماً فرط عظم محبة معلمنا ومخلصنا الوحيد يسوع المسيح الذي مات

لأجلنا وأحرز لنا خيرات لا تحصى بسفك دمه الكريم قد رسم وفرض هذا السر المقدس عربوناً على محبته وتذكاراً دائماً لموته تعزية عظيمة لنا غير متناهية » ويذكر مثل هذا عند الاشتراك أو المعمودية في باقي الكنائس المسيحية.

وإذ كان الموت صلباً يعتبر أحقر وأشد ألماً من جميع القصاصات فالرومانيون القدماء لم يحكموا به إلاّ على الأرقاء وأشر الأشقياء. ومع أن الصليب كان وقتئذ رمز الكره والاحتقار والدناءة فالمسيحيون نظروا إليه بعين المحبة والاعتبار والشكر لأنهم آمنوا أن المسيح قدم نفسه عليه ذبيحة عن خطاياهم وهكذا كتب الرسول بولس إلى أهل غلاطية قائلاً « وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم » (غل ٦: ١٤)

إن المسيحيين الأول قبل عهد قسطنطين الكبير شرعوا بحفر علامة الصليب (بينما هم كانوا لم يزالوا يضطهدون من ملوك الوثنيين) على قبور موتاهم المحبوبين كما تشهد مدافن رومية إلى يومنا هذا.

قال قسطنطين أول إمبراطور مسيحي أنه بينما كان زاحفاً بجيشه لمحاربة ماكزنتيوس الوثني رأى في رؤيا صليباً ظاهراً في عرض السماء وهذه الكلمات « بهذه العلامة انتصر » مكتوبة حوله فعمد بناء على هذا إلى عمل راية بهيئة صليب فانتصر على ماكزنتيوس وجيشه الوثني انتصاراً عظيماً ومن ذلك الوقت صار الصليب معروفاً عند العموم ومكرماً في الإمبراطورية كشعار للديانة المسيحية وعلامة الظفر على الوثنيين وهكذا لم يزل مصوراً على أعلام وشعر

كثير من البلدان المسيحية ومرفوعاً كعلم فوق كنائس لا عــداد لهــا ومزينــاً صــدور الرجــال المشهورين في كل منطقة كوسام يمنحه الحكام المسيحيون للذين يستحقونه وتتزين به ملايين مــن السيدات المسيحيات كحلية محبوبة ونتعلم من كتابات ترتوليان التي كتبها في القرن الثــاني بعــد المسيح أنه كانت عادة عامة بين المسيحيين أن يرسموا إشارة الصليب بأصابعهم علــى أجســادهم عند القيام والأكل والاستحمام الخ والكنيسة الإنكليزية ليومنا هذا تعلم أن كــل شــخص يجــب أن ترسم على جبهته إشارة الصليب عند المعمودية وهكذا يقول القس القائم بوظيفة العمــاد الكلمــات المؤثرة الآتية « إنا نقبل هذا الولد في جماعة قطيع المسيح ونرسمه بعلامة الصليب إشارة إلى أنه لا يستحي فيما بعد من أن يقر بإيمانه بالمسيح مصلوباً ويحارب تحــت رايتــه الخطيــة والــدنيا والشيطان ببسالة ويستمر جندياً أميناً للمسيح وخادماً له إلى آخر حياته »

هذا هو مجموع الشهادات السابقة والمعاصرة واللاحقة التي شهد بها الأعداء والأصــدقاء المسيحيون واليهود والوثنيون والأخبار التاريخية الصادقة وسجلات المحــاكم الرســمية وتقاليــد الكنيسة العامة والقوانين والتعاليم والعادات والرموز المنتشرة بين المسيحيين عموماً منــذ نشــأتهم إلى هذا اليوم وبين كل الطوائف المسيحية العديدة المنتشرة على سطح قــارات الكــرة الأرضــية الخمس. فهذه كلها برهان قاطع وحجة دامغة على أن يسوع المسيح « تألم على عهــد بــيلاطس البنطي وصلب ومات وقبر »

الجزء الثاني

(لماذا ينكر المسلمون حقيقة موت المسيح)

إذا نبذ المسلمون هذه الشهادات الكثيرة ظهرياً ولم يصدقوا الحقيقة التي لا نجد حقيقة في التاريخ مشيدة الأركان ومبنية على أسس ثابتة نظيرها يحق لنا إذ ذاك أن نسألهم « لأي سبب ترفضون هذه الشهادات وتنبذون هذه الحقيقة؟ »

ولا شك أنهم يجيبون بقولهم لأنه مكتوب في القرآن ما يأتي: « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم... وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً » كما في سورة النساء. أي أنهم ينكرون حقيقة موت المسيح على الصليب قطعياً ويقطعون أن الله خلصه من اليهود برفعه إياه للسماء وأن اليهود صلبوا رجلاً يشبه المسيح إذ ظنوه إياه

وهذا ما ينحوه أيضاً شارحو القرآن المسلمون ولإيضاح ذلك نذكر شرح «تفسير التبيان» وهو كتاب لتفسير القرآن مشهور جداً وها هو بحروفه: ـــ « لم يقتلوه ولكنه تغير إلى هيئة واحد من الذين كانوا عازمين على قتله فقتل اليهود هذا ظانين أنه هو المسيح. قيل إنه كان مرة زمرة من اليهود يعيرون يسوع وأمه فلعنهم يسوع لذلك حولهم الله إلى قردة وخنازير ولهذا السبب اتفق اليهود على قتله ولكن الله أخبر يسوع بقصدهم الشرير وبقصده هو أيضاً من أن يرفعه إلى السماء. حينئذ قال يسوع لأتباعه « من منكم يريد أن يتحول إلى هيئتي ليقتل فيصلب فيدخل الجنة. وإذ قبل أحدهم بهذا حول الله هيئته

إلى هيئة يسوع فظنه اليهود إياه فمسكوه وقتلوه وصلبوه. وقيل أيضاً إن هيئة المسيح وضعت على رجل شرير ترك يسوع وذهب إلى اليهود ليريهم يسوع حيث كان وإن هذا الرجل قتل وصلب

وقيل أيضاً إن يهودياً اسمه تاشيانوس دخل بيتاً حيث كان يسوع موجوداً فحول الله هيئته إلى هيئة يسوع وعندما خرج من البيت ظنه اليهود يسوع فمسكوه وصلبوه

وبعض اليهود قالوا إن المسيح كان خداعاً ونحن قتلناه حقيقة. وبعضهم شك في هذا وقال لو كان المقتول هو يسوع فأين صديقنا. وقال آخرون إن وجه القتيل هو وجه يسوع وأما جسده فجسد صديقنا وشخص (إذ كان سمع يسوع يقول إن الله سيرفعه إلى السماء) قال إنه رفع إلى السماء وبعضهم قالوا إن ناسوته قد صلب ولاهوته قد ارتفع »

ومع أن هذه التفاسير تختلف بعضها عن بعض اختلافاً بيناً فإنها تتفق في المحاماة عن القرآن من تهمة اختراع إنكار صلب المسيح وموته

فاجتهاد مفسري القرآن هذا مفهوم إذ لاحظنا أن الاعتقاد بموت المسيح على الصليب كان عاماً في وقت محمد كما هو الآن حتى أن غير المتضلعين المتمكنين من التاريخ القديم لا يقدرون أن يتصوروا أن حقيقة مشهورة كهذه قد أنكرها الناس من قبل ويظنون طبيعياً أن آية القرآن (وما قتلوه الخ) بعيدة عن الحق وليس لها أدنى أس في التاريخ

لذلك وجد المفسرون المسلمون أنه من الضروري أن يبذلوا جهدهم لتكذيب هذا وإثباتاً لهذا الرأي رأوا من الموافق أن يستخدموا التاريخ القديم

لقضاء مآربهم إذ وجد أناس قبل محمد عارضوا عقيدة المسيحيين العامة في موت المسيح وهكــذا في هذه المسئلة كما في كثير من المسائل يظهر القرآن كأنه يذكر أمراً مقرراً أو يعيد ما علم قبلــه بقرون كثيرة

وإذ نرى أن ليس كل آراء الناس مؤسسة على الحقائق وأن الضلال في هذا العالم الشرير مع الحق جنباً لجنب نرى أنه من الضروري في موضوع مهم كهذا أن نسأل باعتناء من هم الذين أنكروا قديماً حقيقة مقررة كموت المسيح؟ وعلى أي البراهين والأسباب بنوا إنكارهم هــذا حتــى نكون قادرين على الحكم إن كانت هذه الدلائل تثبت الآية القرآنية أولا. وإن كان لشارحي القــرآن حق في اقتباس آراء هؤلاء كي يبرهنوا بها أن إنكار القرآن موت يسوع المسيح ابن مريم مؤسس على براهين تاريخية؟. وإذا قلّبنا صفحات التاريخ نرى أن الاعتراضات ضد حقيقة موت المســيح التي عرفها محمد والتي ذكرها هو في القرآن لم تحصل عند موت المسيح إذ لم يشك أحد وقتئــذ بهذه الحقيقة لأن تلاميذ المسيح خارت قواهم بموته والأعداء انتصروا به ولم يهتم اليهود إلاّ بمنع قيامة المسيح المعروفة حتى أنهم أخذوا من الوالي الروماني حرساً من الجند لحراسة القبــر لــئلا يأخذ التلاميذ الجسد المائت ويقولون إنه قام من الأموات كما أنبأ هــو. ونــتعلم أيضــاً مــن ذات المصدر أنه لما أنكر بعضهم بعد ذلك صلب المسيح لم يكن إنكاراً مؤسساً على شك أو قصور في أخبار الإنجيليين أو على براهين تاريخية تتفق مع أخبار البشيرين السالفي الذكر بل علــى نتــائج نظام فلسفي إذ بينما كان يبحث أصحابه عن طبيعة المسيح الفائقة الطبيعة ضلوا في طبيعة جســده الإنساني ولذلك حسبوا موته أمراً مستحيلاً.

وهذا النظام الفلسفي ظهر بعد موت المسيح وقيامته وصعوده بسنين عديدة عندما انتشرت ديانتـــه في كل أنحاء السلطنة الرومانية وصار له أتباع من كل طبقات الهيئة الاجتماعيـــة مـــن الشـــرفاء والعامة حتى أن الفلاسفة التزموا أن يوجهوا أنظارهم إليه ويفسحوا له محلاً في دائرة أفكارهم

وبينما كان بعض من هؤلاء الفلاسفة يمعنون النظر في حكمة الإنجيـــل الإلهيـــة والحـــق المجرد الذي فيه اعتنقوا الديانة المسيحية وصاروا من أعضاء كنيسة المسيح وآخرون لم يريـــدوا أن يخضعوا عقولهم لوحي كلمة الله بقوا خارج الكنيسة إنما أدخلوا إلى فلسفتهم الحقائق المســـيحية التي تلائمهم وحرفوها عن أصلها ومعناها الحقيقييْن

وهؤلاء كانوا ينظرون إلى الإيمان بعين الاحتقار وحسبوه لا يناســـب إلاّ الجهـــلاء بينمـــا كانوا يعلقون الأهمية العظمى على المعرفة والعلوم النظرية وسموا أنفسهم غنوسسيين أي رجـــال المعرفة أو العلم ونظاماتهم تختلف بعضها عن بعض وها نحن نذكر منها المهمة المعروفـــة عنـــد أكثرهما في ما يأتي: ـــ

(١) إن الله (حسب الفلسفة الغنوسسية) قد جعل منذ الأزل عدداً من الأرواح الإلهية تنبثـــق منه وهي تنقص قوة وشرفاً بالنسبة لترتيب انبثاقها ومنها ومنه معاً يتركب عالم النـــور والطهـــارة الروحاني غير المنظور.

(٢) إن المادة موجودة منذ الأزل مع الله (ومع ذلك أن بازيلـــدس الـــذي أدخـــل الفلســـفة الغنوسسية إلى الإسكندرية سنة ١٢٥ ـــ ١٥٠ علم بأن الله الواجب لذاته لما خلق مبدأ الكون خلق معه مادة دونه في العنصر) وهي أصل الشر

(٣) إن أضعف هذه الأرواح الإلهية غرق في المادة ومن هناك طلب الخلاص بشوق من عبوديتها

(٤) إن هذه الأرواح خلقت إلهاً دونها اعتبروه إله اليهود الذي خلق العالم الظـــاهر مـــن المادة وتسلط عليه لكنه تأخر عن خلاصه لكونه غير قادر عليه أو لكونه غير راغب فيه فحينئـــذ المسيح أعظم هذه الأرواح السماوية المنبثقة من الله الفائق إذ نظر هذا وحركه داعي الشفقة عـــزم على المجيء إلى هذا العالم الدنيء كي يخلص تلك الأرواح الساقطة والناس الـــذين تـــاقوا معهـــا للخلاص من قيود المادة الشريرة

(٥) إن هذه الأرواح المخلصة ظهرت في هذا العالم حسب تعليم بعض الغنوسسيين بهيئة بشرية فقط. وقال آخرون إن المسيح اتحد بالإنسان يسوع أي بمسيح اليهود عند معموديته وتركـــه عندما مسكه اليهود وصلبوه لذلك (كما صرح به تفسير التبيان) أن ناسوته قد صلب وأما لاهوتـــه فرفع إلى السماء

وقال آخرون قليلون من البسيدوبازيلديسيين وغيرهم إن يسوع المسيح تبادل هو وســـمعان القيرواني أو غيره الهيئات حتى أن اليهود أخذوا سمعان وصلبوه وأما يسوع فنجا وارجـــع إلـــى السماء (مع أن بازيلدس وأكثر أتباعه قالوا إن يسوع ابن مريم نفسه قد تألم ومات وإن هـــذا كـــان ضرورياً له كما للآخرين كي يتطهروا من الخطايا والذنوب)

هؤلاء الفلاسفة الغنوسسيون هم الأشخاص الوحيدون في التاريخ الـــذين أنكـــروا مـــوت المسيح الرب قبل أيام محمد

وكما قد رأينا أن إنكارهم هذا لم يكن مبنياً على حقائق تاريخية أو أخبار

معاصرة لموت المسيح بل على اعتقادهم فقط أن المسيح غير بشري بل مخلوق سماوي ولذلك عدوا مكابدته الموت أمراً مستحيلاً

هل هذا هو الأمر المنكر في القرآن؟ كلا. بل شيء آخر يختلف عنه لأن المسيح يمثل في القرآن كإنسان فقط كواحد من الأنبياء حتى أننا نرى أن الله يخاطبه في سورة النساء بقوله « يا عيسى أني متوفيك »

ونرى من القرآن أن يسوع ابن مريم حفظ بأعجوبة من الموت على الصليب ولكن معظم الغنوسسيين يقولون إن الإنسان يسوع قد صلب حقاً وجميع الغنوسسيين اتفقوا على القول إن الروح الإلهي الذي في يسوع أو المسيح السموي الحقيقي قد نجا من الموت صلباً لا يسوع ابن مريم وارتفع بأعجوبة إلى السماء

وأما القول بأن يسوع ابن مريم تغير إلى هيئة شخص آخر أو أنه ارتفع إلى السماء حينما أراد اليهود أن يقتلوه وأنه لا يموت إلا عند مجيئه الثاني إلى هذا العالم فهذا ما لا يساعد عليه النظام الغنوسسي كما ظن بعضهم غلطاً بل يناقض تعاليمه الأساسية تمام المناقضة ولكنه من المحتمل أن النظام الأول من وجهٍ ما استخدم عمداً لقيام النظام الأخير كي يلبسه حلة تاريخية

إن هذا الفحص المختصر يمكننا من اعتبار التفاسير الإسلامية المأخوذة من تفسير التبيان حق الاعتبار ومن فهم كلمات سورة النساء (التي قصدوا أن يفسروها) حسب معانيها الأصلية الحقيقة

إن خبوط التفاسير المتعددة التي حاكها تفسير التبيان وغيره وقصد بها حمل القارئ على أن يعتقد أن الآراء المتعددة التي كانت شائعة (من عهد المسيح إلى محمد) بخصوص نهاية حياة يسوع المسيح الأرضية تتفق على أنه لم يمت

حقيقةً على الصليب لكنه تخلص بأعجوبة من أيدي اليهود ورفـــع إلى السماء فالرأي المذكور آنفاً « إن ناسوت المسيح قد صُلب وأما لاهوته فقد رُفع » هو الرأي المعول عليه بالأكثرية عند الشيع الغنوسية كما اتضح لنا سابقاً ولكنه يصعب علينا أن نعرف لماذا يعده المفسرون المســلمون مـــع الآراء الأخرى العديدة إلاّ إذا كانوا يريدون زيادة ما يلوح أنه يناقض القصة التاريخية الموجـــودة في الإنجيل واعتقاد المسيحيين لأنه عوضاً عن أن يوضح آية القرآن (التي تنفي صلب المسيح) قد ناقضها على خط مستقيم

لا جرم أن كل واحد يعلم أن القرآن ينكر تكراراً لاهوت المسيح ويتكلم عنه كواحـــد مـــن الأنبياء أو كمخلوق من المخلوقات فإذ قال إنه لم يُصلب عني أن ناسوته (أو هـــو كإنســـان) لـــم يُصلب وهذا ما يخالفه المذهب الغنوسي الذي يثبت حقيقة لاهوت المسيح تمام المخالفة ويؤكـــد أن ناسوته قد صلب

والرأي الآخر الذي تعلق بأذياله تفسير التبيان من أن الله بمعجزات نقل هيئة المسيح إلـــى شخص آخر فصلب عوضاً عنه يوافق في الظاهر آراء المسلمين لكنه في الحقيقـــة يناقضـــها لأن القرآن وأتباعه يقولون إن يسوع الإنسان ابن مريم هو الذي رفع إلى الســـماء ولكـــن الأشـــخاص القلائل الذين تكلموا قبل محمد من انتقال هيئة المسيح إلى شخص وعن نجاة المسيح إذ ذاك مـــن اليهود وعن ارتفاعه إلى السماء هم من التلامذة الغنوسسيين وهؤلاء يقولون إن الروح الســـماوي أو المسيح الأبدي الذي تغرب إلى حين في هذا العالم (بصورة جسد بشري) هو الـــذي نجـــا مـــن الصلب بأعجوبة لا الإنسان يسوع برفعه إلى السماء وأن جسده الجسماني فقط هو الذي ترك فـــي أيدي اليهود

فالمفسرون المسلمون أدخلوا هذه الآراء المتعددة وصدروها بقولهم « قيل » ولكنهم لم يخبرونا من قالها وأي متى قيلت وذلك تعمداً لكي يجعلونا نصدق أنهم يشيرون إلى إعلان التاريخ العام وليس لتعاليم وهمية قالتها شيعة متفلسفة حتى أنهم يتجاوزون هذا ويقولون بكل جسارة كأنهم يقتبسون ما يأتي من سجلات تاريخية معاصرة كي يظهروا للملا أن أمر الصلب مشكوك فيه « قال بعض اليهود إنه (المسيح) غشاش ونحن قتلناه حقاً » ولكن آخرين إذ كانوا مرتابين قالوا « إذا كان المقتول هو يسوع فابن صاحبنا » وقال آخرون « إن وجه المقتول وجه يسوع ولكن الجسد جسد صاحبنا »

ونحن دفعاً لما تقدم نؤكد للقارئ إن هذه الأقوال لم تكن معروفة قبل محمد إلاّ عند الغنوسسيين وإن القول بأن هيئة المسيح انتقلت إلى شخص آخر لم يعترف به جمهور الغنوسسيين عموماً بل فرقة لا شأن لها منهم فقط وأما القول بأن اليهود ارتابوا في جسد يسوع المائت وقالوا إن الوجه وجه يسوع ولكن الجسد جسد آخر فهو اختراع لمقاصد كثيرة وكلام فارغ لا أساس تاريخي له على الإطلاق

نحن نعلم أن كلامنا هذا يحتوي على تهمة عظيمة ضد مفسري القرآن ولكن إذ لم يكن لنا أدنى رغبة في تخطئتهم مجرداً نطلب علانية مناقشة علماء الإسلام (إذا وجدوا أن لا أساس لتهمتنا) وأن يقدموا البراهين التاريخية التي تثبت أن المسيح انتقل إلى السماء بدون أن يُصلب أو أن هيئته قد انتقلت إلى شخص آخر من مصدر آخر غير مصدر الغنوسسيين الذي ذكرناه آنفاً ويخبرونا

من أي تاريخ قبل محمد عرفوا أن اليهود رأوا في الجثة المصلوبة وجه يسوع وجسد صديقهم

ومتى عجزوا عن هذا يجب أن يسلموا أننا قد اتهمناهم بعدل أنهم يحاولون إثبات إنكار القرآن لصلب المسيح بأوهام الغنوسسيين وأضغاث أحلامهم ويعتمدون على البراهين المخترعة دون سيوف البراهين التاريخية

وأما قول المفسرين إن بعض اليهود تحولوا إلى قردة وخنازير عندما لعنهم يسوع ولذلك عزم اليهود على قتله فهو قول هراء ليس له أساس بيد أنه مخالف لشهادة التاريخ لأن المسيح عمل معجزات لا عدد لها لمساعدة وشفاء المتألمين من كل نوع ولكنه لا يوجد عنه خبر واحد في الإنجيل إنه حرم أحداً صحته أو حياته أو عقله بل بعكس هذا لأن بعض السامريين مرة رفضوا أن يضيفوه فقال له اثنان من تلاميذه « أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً فالتفت وانتهرهما وقال لستما تعلمان من أي روح أنتما لأن ابن الإنسان لم يأتِ ليهلك أنفس الناس بل ليخلص » (لو ٩: ٥٢ ــ ٥٦)

وأما سبب فظاهر كالصبح لذي عينين من بشارة يوحنا (١٩: ٧ ــ ١٢) أي أن موته كان مؤسساً على اتهام اليهود إياه تهمة مزدوجة وهي أنه جعل نفسه ابن الله وملكاً

وبما أن هذا القول معارض على خط مستقيم لآيات القرآن فعلماء المسلمين رفضوا شهادة التاريخ الواضحة واستخدموا أو اخترعوا حكايات فارغة عن القردة والخنازير كما رأيت

وأما القول الزور بأن أحد تلاميذ يسوع أخذ على نفسه تطوعاً أن يموت

عوضاً عن معلمه كي يكون على ثقة من الحصول على الجنة والذهاب إليها بسرعة فهو منــاقض لما ورد صريحاً في بشارة متى (٢٦: ١٦) من أنه في ساعة الخطر عندما ألقى أعــداء المســيح الأيادي عليه في البستان « تركه التلاميذ وهربوا »

أن تزوير هذه الأخبار وعدم أساسها يظهر جلياً من مناقضتها بعضها لبعض لأنك تــرى في رواية أن هيئة يسوع وضعت على أحد الذين كانوا مزمعين أن يقتلوه وحسب روايــة أخــرى أنها وضعت على أحد أتباعه برضاه ومن تلقاء نفسه وحسب رواية غيرهما أنها وضــعت علــى رجل شرير ترك يسوع ودل اليهود عليه.

وحسب رواية أخرى أنها وضعت على يهودي اسمه تاشيانوس وعلى زعم رواية غيرهــا أن الشخص المغير كان له وجه يسوع وأما جسده فكان جسد صديق اليهود المعروف عندهم

وعلى زعم رواية أخرى أنه لم يحصل تغيير مطلقاً بل أن ناسوت (جسد) يســوع نفســه صلب ولكن لاهوته رفع إلى السماء

هذه هي الشواهد والبراهين التي بها يريد مفسرو القرآن العلمــاء أن يوضــحوا ويثبتــوا الآيات التي نحن بصددها فهذه عوضاً عن أنها تزيل الشكوك وتزيد الثقة هي في حكم الذين لهــم معرفة بالتاريخ تثبت الشكوك والأوهام وتوضح كيف يضطر النــاس أحيانــاً لقبــول الحكايــات المتناقضة التي لا أساس لها وذلك لأنهم يرفضون الحق بل تدل على الارتباك في رتق الأغلاط

فإذا أحب الشرّاح المسلمون أن يظهروا دقة وصحة هذا الفصل من القرآن ففرض واجــب عليهم أن يوردوا براهين حقيقية من التاريخ أي أن يدلونا على

قول شاهد عين أو على أقوال الناس معاصرين لشاهد عين منه يعلم أن المسيح لــم يمــت علــى الصليب أو أن الواقفين على حقيقة هذا الأمر لم يثبتوا أنه مات.

وكذلك عليهم أن يعللوا لنا عن سبب الإيمان بصلبه الذي صار عاماً إذا كان هذا الســبب وهمياً ولماذا بقي الاعتقاد بارتفاعه للسماء من غير أن يذوق الموت محصوراً في قسم صغير من الفلاسفة إذا كان هذا الاعتقاد حقيقياً؟

فالحكايات التي أوردها المفسرون لم تفِ بالغرض وليس لها صبغة تاريخية لأننا لا نقــدر أن نرجعها ونسندها إلى شهادة عين بل إلى أوهام الباحثين المظلمة وتزوير العصر المتأخر الــذي ظهرت فيه الأسلوب

والغنوسسيون الذين ينكرون صلب المسيح لا يبنون إنكارهم هذا على براهين تاريخية بــل على نظام فحصهم العقلي المضل الذي يعلم أن المسيح لم يكن إنساناً حقيقياً بل شخصاً إلهياً خالــداً فقط

فإذا اتخذنا هذا النفي كبرهان قاطع ضد حقيقة موت المسيح على الصليب فكأننــا نحــاول نقض أحسن حقيقة تاريخية ثابتة بآراء صبيانية مبنية على الحدس والتخمين. وحقائق التاريخ كمــا لا يخفى لا تدحض بالآراء والأوهام

ماذا يقول المسلمون إذا أنكرت فرقة من فلاسفة المسيحيين على محمد أنه ادعــى النبــوة وانه لم يحتمل الاضطهاد في مدينة مكة ولم يهرب إلى المدينة لأنه من المستحيل حسب مبدأهم أن إعرابياً يتجاسر على الادعاء بالنبوة إذ لم يقم الله نبياً من أمة العرب ســابقاً؟ ألا يســخرون بهــذا الاعتراض ويقولون « إن هذا البحث فارغ لأن كل تاريخنا الماضي مبني على إثبات محمد نفســه نبياً ونحن لهذه الساعة نتخذ هجرته تاريخاً لنا؟ »

إن الكنيسة المسيحية على هذا المنوال مؤسسة بطرق عديدة على الاعتقاد بحقيقة موت يسوع المسيح وقيامته من الأموات

وكما أن التاريخ لا يساعد على إثبات الحكايات التي أوردها المفسر بخصوص المبادلة التي حصلت بين يسوع وشخص آخر على الوجه والهيئة هكذا هي لا تطابق العقل السليم أو احتمال حدوث الأمر أيضاً

إن هذه الحكايات تتفق على إظهار قصد الله في خلاص يسوع من أيدي اليهود ومن الموت المحتقر على الصليب

والقصد ليس خلاص يسوع من الموت على الصليب فقط بأيدي اليهود الظالمين لأن أكثر المسلمين يعتقدون أن يسوع سيموت بعد مجيئه الثاني في اليوم الأخير حتى أن الذين يؤمنون بهذا كالبيضاوي مثلاً يخبرون أن المسيح مات حقاً موتاً طبيعياً وبقي مائتاً مدة ثلاث ساعات وآخرون قالوا سبعاً قبلما قام وارتفع إلى السماء

لو لم يكن لله قصد خصوصي بموت المسيح على الصليب لكان من المعقول أن الله (لكي يخلصه من الموت الأليم) قد أنقذه بأعجوبة من أيدي اليهود ولكن إذا قيل لنا إن الله عندما خطفه من أيدي اليهود عمل معجزة أخرى بوضع هيئته على شخص آخر وهكذا سبب له أن يصلب عوضاً عن المسيح فلا نصدق هذا لأنه لا يعقل ولأنه يظهر كأن الله غير قادر على إتمام قصده ما لم يغش اليهود أو أن الله بعد ما خلص نبيه المحبوب من أيدي الأشرار عمل معجزة أخرى خصوصية كي يجعل اليهود يفتكرون ويقولون إننا قد نجحنا في قتل يسوع رغماً عن إرادة الله في تخليصه

وإذا كان الله رأى أن صلب اليهود للمسيح مخل بشرفه محقر له فيكون مخالفاً للعقل أننا نظن أن ذات الإله عمل معجزة ثانية ليظهر أنه احتقر فعلاً مع أنه نفسه فعل أعجوبة كي ينفي ذاك الاحتقار

فكل من له إلمام كافٍ بتاريخ الإسلامية الماضي وبحالة وأعمال فرقها المتعددة لا يعجب كثيراً إذا وجد أن شارحي القرآن عندما يريدون أن يثبتوا أو يمدحوا آية قرآنية يسطرون أوهام بعض الفلاسفة الغنوسسيين (الذين قرر التاريخ أن معرفتهم للمسيح ناقصة واعتقادهم به غلط) ويقبلون قصصاً مزورة مناقضة لنص التاريخ لأن سلطة الحق المقدس في الإسلامية ومطالبها الطاهرة غير مرعية الجانب كما يجب تحت كل الأحوال بدون استثناء بل سائد هنالك التهاون بطريقة تستدعي الأسف. مثلاً قد ورد في كتاب « عين الحياة » وكتاب « مشكاة المصابيح » وكتب أخرى مهمة نظير هذه أنه يحل لك أن تخفي الحق وتكذب لأجل قصد تظن أنه صالح. وإنه لا يجوز أن تقول الحق إذا كان مضراً بأحد المؤمنين أو متى جعل حياته في خطر ويجوز أنك تكذب لكي تخلص مؤمناً من الموت أو السجن أو من ضرر آخر

وهكذا حلال أن تكذب وتؤيد هذا بقسم بقصد حماية بضاعة مؤمن وضعت عندك أمانة بشرط أن المدعي عليها يكون غير عادل

حتى إنه قيل في كتاب عين الحياة نقلاً عن الأحاديث الصادرة عن النبي أن الكذب جائز في ثلاث حالات (١) في الحرب كي يخدع عدواً (٢) عندما يريد رجل أن يقنع زوجته ويزيل شكوكها واعتراضاتها (٣) عندما تريد أن تجعل سلاماً بين الناس

وهذا يوافق تمام الموافقة ما أخبرنا به ابن اسحق أول مؤرخ عربي في كتابه المشهور بسيرة محمد من أن الحجاج ابن علاط السلمي أحد أبطال محمد استأذن النبي بعد إخضاع خيبر أن يذهب إلى مكة لجمع الديون التي له هنالك فلما أذن له سأله الحجاج ثانية قائلاً لا بد لي أن أقول الكذب فأجابه محمد بقوله « قل ما شئت » (فيتضح من هذا ومما بعد أن محمداً سمح له أن يكذب عند الضرورة) فذهب الحجاج وأخبر المكيين كذباً أن جيش محمد قد استؤصل عن شأفته وأن محمداً سجن ليسلم للمكيين لينتقموا منه (راجع سيرة الشيخ ابن هشام صفحة ١٩٢)

فسرّ المكيون بهذه الأخبار الملفقة وساعدوه على جمع الديون التي له فتمكن إذ ذاك أن يرجع بسرعة ليتحد ثانية بمحمد وجيشه الظافر

فالآن إذ علمنا أن الكذب جائز في كتب أحد الشعوب الدينية حباً بمساعدة مؤمن أو ترويج مصالحه أو لنجاح مقصد ديني فهل يمكن لمحب الحق وطالبه أن يصدق أو يثق بإثباتات وإنكارات ومخابرات وسجلات ذلك الشعب؟ (ونحن نترك الجواب على هذا للقارئ النبيه وحاساته الشريفة) والأحسن له أن يستعمل الحكمة والاحتراس في قبولها

ونذكر أيضاً أن الأخبار والمقاصد المعروفة عند شيع المسلمين المختلفة كالسنيين والشيعيين تناقض بعضها بعضاً ومن المستحيل أن تكون جميعها صادقة والعارفون يخافون من أن محمد بن اسحق من أعظم الذين كتبوا سيرة محمد قد ألف هذه السيرة على عهد الدولة العباسية التي كانت عداوتها للأميين مشهورة وان هذا التأليف لا يوجد الآن كاملاً على أصله بل حسبما نقحه عبد الملك بن هشام وحفظه

وابن هشام هذا يخبرنا صريحاً في مقدمة أنه قد حذف من كتاب ابن اسحق الأشياء التي رأى أنها غير ملائمة للنشر أو التي هيجت سخط أحد

ونقدر الآن أن نجمع ونعرف صفة بعض الأقسام المحذوفة التي حكم عليها بأنها لا تستحق الحفظ مما يأتي وهو:

إن أبا جعفر ابن جرير الطبري اقتبس من تأليف محمد ابن اسحق عن سيرة حياة محمد ما يثبت أن محمداً بعد أن ادعى النبوة (لكي يصالح خصومه عابدي الأوثان) وصف أصنام العرب اللات والعزى ومناة بقوله « تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى » (راجع تاريخ الطبري صفحة ١١٩٢) فاعترف بشفاعتها الفعالة كما نرى ولكن هذه الفقرة لا توجد الآن في تاريخ محمد لعبد الملك بن هشام. فمما ذكر يظهر جلياً ميل كتبة المسلمين الأول لإخفاء ومنع الأمور التي لا توافق ادعاء محمد بصفة كونه نبياً حقيقياً

إن ابن هشام والواقدي الكاتب الثاني لسيرة محمد وأبا عبد الله البخاري جامعي الأحاديث النبوية العظيمة الأولى وغيرها الذين تتوقف عليهم معرفتنا بمحمد والإسلام في بدء تاريخهم عاشوا في زمن خلافة المأمون العباسي. ولا يخفى أن هذا الخليفة أعلن رسمياً أن علياً أشرف الناس وأن معاوية أدناهم وأوقع تحت العقاب الصارم كل من كان يمدح معاوية أو يذم علياً ولكن المتوكل خلفه الثاني خالفه وتهدد بالموت كل من يتجاسر على أن يتكلم بشر ضد الخلفاء الثلاثة الأول أو يمدح علياً

فإذا اعتبرنا تحزب الخلفاء المحمديين كما ذكرنا آنفاً وإلزامهم الناس بإتباع آرائهم المتضادة أوقاتاً يتضح لنا جلياً أنه ليس من الملائم أو العدل أن نصدق

التعاليم المؤلفة في عصر كان ملائما لتقدم الأغراض الشخصية ومساعداً لإذاعة الحكايات الملفقة كل التصديق

لكنه يجب علينا أولاً أن نبحث ونفحص الأمور المشكوك فيها والمريبة ونقبلها ولكن باحتراس وانتباه عظيمين

(ملاحظة) (قال البخاري أنه جميع ٦٠٠٠٠٠ حديث بتجوله في البلدان الإسلامية المختلفة ولكنه لا يعتبر صحيحاً منها إلاّ ٤٠٠٠ وإن الذين نقل عنهم هذه الأحاديث قد بلغوا ٤٠٠٠٠ ولكنه يعتبر صدق ٢٠٠٠ منهم فقط وكل هذا يبين لنا نسبة هذه الأحاديث للحقيقة ومقدار صحة الحوادث نفسها)

فإذا كانت التعاليم المتخذة مصدراً لمعرفة تاريخ محمد والأحاديث مؤلفة في عصر صارت الحقائق التاريخية فيه مسرحاً للأغراض الذاتية والظنون وميداناً تلعب فيه خيول القساوة والظلم ولا يقدر المفسرون العلماء المشهورون أن يثبتوا صحة آية القرآن بحقائق تاريخية بل بحكايات مخترعة فلا عجب إذا كان الإيمان بموت المسيح على الصليب لم يؤثر فيه الإنكار أدنى تأثير

أليس الأمر طبيعياً والحالة هذه أن ذوي الأفهام الثاقبة قالوا كيف نبالي بإنكار محمد موت المسيح أو كيف نوضح سبب رفضه حقيقة مقبولة عموماً لا حقيقة تاريخية أثبت منها حجة وأرسخ أساساً؟ قد حاول بعضهم أن يجاوب على هذه الأسئلة بقوله أن الله القادر على كل شيء لا يرضى أبداً أن يترك أحب أنبيائه يقتل بواسطة قوم أدنياء محتقرين كاليهود ولكن هذه الدعوى منقوضة لأن يسوع المسيح نفسه قد اتهم يهود عصره قائلاً « ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم » (لو ١١: ٤٧)

حتى أن القرآن نفسه يصادق على هذا بقوله « فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق » (سورة النساء)

ومحمد نفسه قال إن موته مسبب عن لحم مسموم أعدته له نساء خيبر اللواتي قتل محمد أقرباءهن في الحرب واغتصب أملاكهم كما أخبرنا محمد بن اسحق في تاريخه بقوله إن أم بشر التي أكل ابنها (أو أخوها حسب رواية أخرى) أيضاً من اللحم المسموم ومات من جراء ذلك عادت محمد يوماً وهو على فراش الموت فقال لها « إني أشعر الآن أن وريد قلبي قد انفجر بسبب اللقمة التي أكلتها مع ابنك (أو أخيك) بشر في خيبر »

فإذا كان محمد نفسه أقر أنه مات بخيانة امرأة يهودية فقد بطل البحث في إنكار القرآن صلب المسيح لحصوله من أشراف أمة اليهود وظن آخرون أن تعليم الغنوسسيين أضل محمداً في هذه القضية ومع أن هذا هو رأي كثيرين من العلماء فهو غير مقبول لأن تعليم القرآن من حيثية صفة وطبيعة المسيح مخالف قطعياً لتعليم الغنوسسيين كما رأينا سابقاً ولا يظن عقلاً أن رجلاً حاذقاً وعاقلاً كمحمد يعتمد على أقوالهم بخصوص نهاية حياة المسيح الأرضية ويتخذ آراءهم الفلسفية مصدر ثقة أكثر من الكتاب المقدس والتاريخ العام

وزد على ذلك أن شيعة الغنوسسيين كانت انقرضت قبل عصر محمد بزمن طويل فهو كان قادراً فقط على معرفة آرائهم بواسطة درسه كتبهم أبو بواسطة من درسها

وآخرون حاولوا حل هذه المسئلة بادعائهم أن محمداً كان يجهل تماماً حقيقة موت المسيح وما ورد عنها في البشائر الأربعة واعتراف الكنيسة المسيحية العامة

بها باتفاق الآراء ولكن هذا الادعاء كسابقه منقوض نظراً لاتساع معرفة محمد بالمسيحيين وللتسهيلات العظيمة التي كانت له لمعرفة كتبهم الدينية ومعتقدهم المقدس ناهيك عن الأسباب التي كانت تحثه على استخدام تلك التسهيلات

لأن ابن اسحق يخبرنا في تأليفه سيرة محمد أن « ورقة » ابن عم خديجة زوجة محمد تعمق في الديانة المسيحية ودرس كتب المسيحيين متى عرف تعاليمهم حق المعرفة. وكذلك الزبير ابن بكار روى لنا حديثاً يسند إلى عائشة أن خديجة أخذت محمداً إلى ابن عمها ورقة الذي كان قد صار مسيحياً وكان يكتب في اللغة العربية حتى أنه نسخ ما شاء من الإنجيل في العربية. وهذا أثبته بأحاديث نظير هذه كل من البخاري ومسلم والطبري وغيرهم من رواة الأحاديث النبوية

ومعرفة محمد بالمسيحيين تتضح في محال عديدة في القرآن كما ترى: ـــ « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون » (سورة المائدة)

ولا يخفى أن عبد الملك ابن هشام وغيره يخبروننا أنه لما وقع اضطهاد على أتباع محمد الأول في مكة هاجروا إلى بلاد الحبش وكان عددهم ٨٣ وهذه البلاد كانت مسيحية فلما دخلوها بعث ملكها فجمع أساقفته حوله ومعهم كتبهم

فبعض هؤلاء المسلمين اعتنقوا الديانة المسيحية وماتوا فيها في الحبشة وبعضهم رجعوا إلى محمد حالما تحسنت الأحوال ولذلك كانوا قادرين على أن يخبروا محمداً (بناءً على معرفة تامة) عن إيمان ونظام المسيحيين

وقد أخبرنا ابن اسحق أن أحد الذين تنصروا في الحبشة وماتوا فيها عبيد الله بن جحش ابن عم محمد قال لرفقته المهاجرين بعد تنصره « نحن المسيحيين

قد نظرنا بكل وضوح ولكن أنتم لم تزالوا تتلمسون وللآن لم تفتحوا أعينكم » (فقحنا وصأصأتم)

وبعد موت عبيد الله أرسل محمد رسولاً إلى ملك الحبشة وزوده بهدية تبلغ أربعمائة دينار يخطب منه الأرملة أم حبيب لنفسه فارتضت الأرملة بهذا ورجعت مع الرسول إلى المدينة لتصير إحدى زوجات محمد وهذا المؤرخ المسلم نفسه يخبرنا أن جماهير مختلفة من المسيحيين في أوقات مختلفة أخضعوا ذواتهم لمحمد وانتحلوا الإسلامية

وبهذه الواسطة كان له فرص متعددة أن يسمع من شفاههم ما كانوا يعتقدونه سابقاً

وزد عليه أن المؤرخين المسلمين الأولين يخبروننا أن نبيهم عمل معاهدات مع كل الفرق المسيحية وأساقفتهم كأسقف بني حريث وأساقفة نجران وأنه قبل موته بأربع سنين أرسل سفارات رسمية برسائل خصوصية إلى الإمبراطور هركليس وملك الحبشة وحاكم مصر (وكلهم مسيحيون) يدعوهم إلى انتحال الإسلامية

وإذا عرفنا أنه كان في تلك الأيام شريعة مسنونة في كل كنائس الشرق المسيحية توجب أن تقرأ علانية للجمهور فصول من الإنجيل في كل ممارسة خدمة دينية (وبالنتيجة أن وجود نسخ عديدة من الكتب المقدسة كان ضرورياً) نعلم جيداً أنه كان من السهل للغاية لرجل في مركز محمد أن يحصل على نسخة من الإنجيل المقدس ويطلع على خبر صلب المسيح وموته حسبما هو مسطر هنالك

وبما أن القرآن يحقق أن الإنجيل قد أنبأ عن محمد أو أحمد كما ورد في سورة الصف وأن القرآن نفسه جاء « لتصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب »

(سورة يونس) فلا بد أن هذا قد حمل محمداً على أن يحب أن يرى بعينيه نسخة من الإنجيل ويطلع على تعاليمها (طبعاً)

وإذا كان القول (بأن محمداً قد أنكر موت المسيح لعدم مقدرته على معرفة ما ورد في الإنجيل واعتقاد المسيحيين في هذا الأمر أو لأن آراء الفلاسفة الغنوسسيين قد أضلته سبيلاً أو لسبب مثل هذا) أمراً بعيد الوقوع ومخالفاً للعقل السليم فليس لنا جواب مقنع للسؤال المتقدم ذكره. والباحث الفطن يسأل أيضاً قائلاً ألم يكن محمداً بدوافع خاصته ولقصد الحصول على أمر هام قد تجرأ على معارضة باقي العالم بإنكاره حقيقة مقبولة من العموم يقدر المسيحيون أن يؤيدوها ببراهين راهنة وحجج دامغة؟ وإن كان الأمر كذلك فما هو قصد محمد؟ هل يختص بحقيقة موت المسيح أو بالحري بالنتائج العظيمة والفوائد الفائقة التي يستمدها المسيحيون منها والتي إذا قابلناها مع ما عمله هو نرى محمداً محتقراً في أعين الناس؟ ولنا الحق أن نطرح هذه السؤالات إذ يظهر من سورة مريم أن محمداً في عصره الأول ذكر أن المسيح قال إنه سيموت كيوحنا المعمدان أو غيره حتى أن إنكاره لحقيقة موت المسيح في السور المدنية بعد إقراره بها سابقاً يظهر كاستدراك أو أنه ادخل لمقصد خصوصي

وبما أن القارئ النبيه يمكن أن يجد الأجوبة الصحيحة على هذه السؤالات فلا نحتاج الآن لزيادة الشرح عليها بل نكتفي بنصح كل محب للحق أن يعتبرها أحسن اعتبار ويفحص عنها بالصلاة آملين أن الصفحات التالية تكون لاذة ومفيدة له في سلوكه أيضاً طريق البحث إلى أن يصل إلى ساحة الاقتناع التام بالحق

إن الآيات المقتبسة من الكتاب المقدس في الفصل الأول تبرهن بطريقة قطعية واضحة أن يسوع المسيح والرسل نظروا إلى حقيقة صلب المسيح وموته ومثلوه كشرط هام لخلاص الجـنس البشري وكذبيحة معينة بواسطة حكمة إلهية ورحمة للتكفير عن خطايا العالم وكواسطة يتقي بهـا الإنسان الخاطئ غضب الله ودينونته فترجعه إلى مركزه الأول عند الله إذ كان يحبه محبة أبويـة وينعم عليه وكالمرموز إليه وتتمة للذبائح المعينة دينياً في الشريعة الموسوية وكنتيجة لكل الـذبائح التي لم تزل تقدم لله في كل الأديان وبالاختصار كحجر الزاوية الخصوصي في أساس بناء الفـداء والفضائل المسيحية والكنيسة النصرانية

لذلك صار الصليب رمزاً مكرماً بين المسيحيين حتى أنهم صاروا يعيدون لموت المسـيح عليه بأعياد واحتفالات خصوصية وصاروا يقرنون التبشير « بالمسيح مصلوباً » بتبشـير إنجيـل الخلاص عموماً لأن المسيح لم يصلب إلاّ لخلاصنا ولأن المسيح المُهـان المضـروب والمتـوج بإكليل الشوك والمعلّق على الصليب المحتقر يظهر في أعين المسيحيين بجمـال فـائق وجاذبيـة عظيمة متألقاً بشعاع المحبة الساطع النقي وصورة المسيح المصلوب منقوشة على لوح قلب كـل مؤمن وحاساته بهيئة لا تمحى من النور والمجد

ألا نرى أن التسعة عشر قرناً الماضية تبرهن أن محبة المسيح تفعل كمغناطيس روحـي قوي بين الناس وتجذب على الدوام التلاميذ الراغبين والرعايا المخلصين الذين هـم بتسـليم تـام وعزم ثابت يحبون المسيح ويتبعونه حتى الموت لأنه قدم نفسه فدية عن نفوسهم؟

فإذا كانت الحكمة والقوة والحسن الظاهر في أعمال الخليقة تستدعي الشكر

والعبادة للخالق فكم بالحري يجب على المؤمن أن يظهر خضوعاً أعظم وعبـادة أفضـل عنـدما يتأمل في المحبة الفائقة الوصف والرحمة العظيمة الظاهرة في عمل الفداء الذي كـان المخلـص الإلهي تواضعاً عظيماً وآلاماً شديدة بتقديم ذاته ذبيحة بواسطة موته الأليم؟

إن المؤمن يشعر ويعرف بواسطة نور الكتب المقدسة أنه بشخص المسيح قد أعيد الاتحاد التام والشركة بين الله والإنسان إلى الحال الأول (حال السعادة) لكي يتمتع به بالإيمان

ويعلم أن المسيح صرف حياته كلها على الأرض لأجلنا حباً بنا وبواسطة موته الاختياري على الصليب قد أوفى ثمن الفداء المثمن بدمه الكريم الطاهر وفتح لأنفسنا المغفور لها ــ أبـواب الحياة الأبدية والمجد

لذلك إذا قلت أن المسيح لم يلبس إكليل الشوك يلوح للمؤمن كأنك تنزع عن رأس المخلص الحنون إكليله الساطع وتاج محبته الطاهرة واستحقاقه المجيد. وإذا قلت إنه لم يسلم نفسـه علـى الصليب يعتبر المؤمن هذا مساوياً لإنكارك العلني فداءنا المشترى بالدم وتجاسراً علـى القـول إن ديننا لم يوف بعد وخطايانا لم يكفر عنها. ولحسن الحـظ أن إيمـان المـؤمن الحقيقـي لا تهـزه اعتراضات كهذه لا أساس لها لأنه مؤسس على صخرة كلمة الله المقدسة ومثبت باختباره القلبـي وحياته الداخلية وكذلك يشهد له اعتراف الكنيسة العامة المسيحية في كل الأجيال

وبالحقيقة أن موت المسيح والكفارة التي صنعها وقيامته هي حقائق هامة مقررة. حتى أنه ظاهر للمؤمن العارف كالشمس لذي عينين أن الذبائح اليهودية في العهد القديم وذبائح الوثنيين في كل العصور (وخصوصاً ذبيحة اسحق بن

إبرهيم أب المؤمنين مع إتمامها العجيب والذبائح التي بها يحتفل المسلمون سنوياً في عيد الأضحى تذكاراً لتلك الحادثة) هي بالحقيقة شواهد رمزية وشهادات مزكاة لتلك الحقائق العظيمة التي تمــت بالفداء الذي قام به المسيح

لأنه إذا كان الأمر كما يقول المسلمون إن المسيح كاهننا العظيم لم يقدم نفسه على الصليب ذبيحة لأجل خطايا جنسنا فكيف يخلصون؟

إن نظام الذبائح الذي كان يستخدم دينياً في الشريعة الموسوية هــو نظــام ألغــاز معقــد وصراخ المتضايقين لأجل المغفرة الذي يصعد من مذابح الوثنيين التي لا تعــد والتــي تنفــث دم الذبائح لا يسمع ولا فائدة منه وهذا الصراخ بدون معرفة يسعى وراء استحقاقات ذبيحة الجلجثــة (الكفارة العامة) ويطلب المغفرة بواسطتها. ألا يصير الأمر الإلهي لإبرهيم أن يذبح ابنــه ومنعــه من الإتمام الفعلي بعد ذلك عارياً من الحكمة والرحمة وسراً عميقاً ضرب عليه حجاب كثيــف إذا لم ننظر في هذا الأمر يد الوحي ممدودة نحو نسل إبرهيم الموعود به منذ زمن طويل الذي «أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا» (رو ٤: ٢٥) ونحو الله الآب الذي « هكذا أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية »؟ (يو ٣: ١٦)

أليس من الحقائق المهمة والمشهورة أن المسلمين مع إنكارهم موت وذبيحة المسيح ونبذهم مطلقاً كل الذبائح المقدمة لأجل التكفير والحصول على العفو لم يزالوا يحافظون على نظام الذبائح الحيوانية كفرض ديني بتذكارهم سنوياً ذبيحة إبرهيم الرمزية ويقولون إن كل من يتمم هذا الفرض له المجازاة الحسنة أي أنه يعبر

الصراط المستقيم سالماً ويصل إلى الجنة أعني راجياً الحصول على مغفرة الخطايا والقبول عند الله؟

أليس هذا يثبت أن التعليم الإلهي « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » (عب ٩: ٢٢) منقوش على قلوب الناس وموافق كل الموافقة لأميالهم الدينية الداخلية حتى أن المسلمين بإتمامهم هذا الفرض الواجب يعترفون به وهم لا يقصدون وعلى قدر ما لا يمكن أن يكون دم الحيوانات هو السبب الحقيقي لمغفرة خطايا الإنسان فهم يقدمون الاعتبار فعلاً وإنْ يكن عن غير إرادة وانتباه « لدم العهد الأبدي » (عب ١٣: ٢٠) ولتلك الذبيحة الكافية التي قدمها مخلص وفادي العالم دون سواه؟

ولا ينكر أن محمداً كان يعرف تماماً الذبائح التي كانت تذبح سنوياً في منى بقرب مكة وكانت تحسب قسماً من الفرائض الوثنية المفروضة على الذين يحجون الكعبة وأنه في يثرب أو في المدينة كان يحادث اليهود كثيراً ولا بد أنه تعلم جيداً ما للذبائح من الأهمية العظمى في ديانتهم

وربما أنه مع نظام الذبيحة قد أدخلت الآراء الرئيسية المتعلقة بها إلى حد محدود إلى الديانة الإسلامية من الأديان الموجودة قبلها. وليس من حاجة للبراهين التي تبين أن الذبائح الدموية معتبرة في الديانة الإسلامية كما هي في اليهودية والأديان الأخرى واسطة للحصول على مغفرة الخطايا والقبول عند الله فكم بالأحرى تكون الذبيحة الدهرية (يسوع المسيح)؟

إن المتشرعين من المسلمين يعلّمون صريحاً أن ذبح حيوان بقصد أن يؤكل لا يعتبر ذبيحة إلا إذا ذبح بقصد الحصول على كرم الله وإنعامه

وكما أن الكبش الذي ذبحه إبرهيم كان عوضاً عن ابنه هكذا كل حيوان مـذبوح شـرعاً يعتبر عوضاً عن مقدمه أعني أنه يكون كفارة عن خطاياه وواسطة للحصول على العفـو (ولهـذا عينه قدّم المسيح نفسه عن الجميع) فلذلك يجب على الشخص الذي يقرب ذبيحة بواسطة غيره أن يكون حاضراً عند ذبح الذبيحة ويقف عند رأس الحيوان أو أنه يمسك السكين مع الذبائح الخ

وعندنا برهان أصرح وأبين من هذا على أن محمداً كان يعتبر دم الذبائح واسطة للتكفيـر والعفو كما ترى من حديث معتبر عند العموم وهو أنه أرادت ابنته فاطمة مـرة أن تقـدم ذبيحـة بواسطة شخص ما فنصح لها أبوها أن تكون حاضرة بنفسها وقت الـذبح قـائلاً هـذه الكلمـات المشهورة « كوني حاضرة يا فاطمة عند رأس الذبيحة عند الذبح لأنه عند أول قطرة تسـقط مـن دمها على الأرض تغفر جميع خطاياك » لذلك يعتقد جميع المسلمين أنه في العالم الآتي سيجازون على الذبائح التي قدموها في العالم الحاضر وأحد الأحاديث المسند إلى عائشة إحدى نساء محمـد يصرّح بأن لا أحد يخسر المجازاة عن الذبائح وأن هذه الحيوانات سترجع أمامه حيـة فـي يـوم القيامة

وبحسب حديث آخر مشهور يسند إلى النبي نفسه أن المسلمين في العالم الآتي سـيركبون الذبائح التي قدموها في هذا العالم ويعبرون بواسطتها الجسر الشعري (الصراط المسـتقيم) القـائم فوق جهنم والطريق الوحيد الموصل إلى الجنة « أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحـد يـأتي إلى الآب إلاَّ بي » (يوحنا ١٤: ٦)

إن اعتقاد المسلمين في الذبائح للحصول على العفو والقبول عند الله هو غريـب بالحقيقـة وعجيب ويظهر لنا إحدى المناقضات المكتشفة في النظام

الإسلامي حالما يعرض على البحث المنطقي والفحص المدقق ـــ

ألا يدور في خلد كل واحد أن يسأل: هل من سبب معقول يحملنا على أن ننتظـــر فوائـــد كهذه من ذبيحة الحيوانات المجردة إذا لم يكن لهذه الذبائح علاقة بالذبيحة الاختيارية الموافقة للعقل المساوية في القيمة للشخص الذي قدمت عوضاً عنه؟ وإلاّ فإننا نلتزم أن نقرر (إذا أمعنا الفكرة في هذا الموضوع) أن الذبائح التي يعتقد المسلمون بمفعولها إما إنها تشير خفية إلى ذبيحـــة المســـيح المكفرة وإما إنها لا يكون لها مفعول في عيني الله فتكون بالحري إذ ذاك مضلة لا منتجة للكفـــارة إذ نرى أن الحيوان الأعجمي غير العاقل ليس في إمكانه أن يكون مساوياً أو مكفراً عـــن خـــاطئ عاقل حر نظير الإنسان. وزد على ذلك أن الله تعالى قد أظهر علانية في كتابه المرشد الأمين قبل مجيء محمد بنحو ستمائة سنة قائلاً « لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس ترفع خطايـــاه » (عـــب ١٠: ١٤) وأنه بذبائح الحيوانات هذه الرمزية توجد فقط « كل سنة ذكر خطايا » (عـــب ١٠: ٣) لكن يسوع المسيح هو حقيقة « حمل الله الذي يرفع خطية العالم » (يو ١: ٢٩) وهكذا « دم يسوع المسيح (فقط) ابنه يطهرنا من كل خطية » (١يو ١: ٧)

ولكن الديانة الإسلامية عوضاً عن إتباعها هذه الطريقة الإلهية التي أظهرها الله ليس أنهـــا رفضت فقط وأنكرت الذبيحة الحقيقية بل فرضت على تابعيها ذبيحة الحيوانات التـــي لا تســـاوي بأجمعها نفس واحدة ناطقة ولا تكفر عن خطية واحدة من خطايا الإنســـان الحـــر الإرادة. فمـــن الواضح إذاً وضوح الشمس في رائعة النهار أن استخدام نظام الذبائح في الديانة الإسلامية هو في غير محله ويشبه حفظ الوضوء مع رفض الصلة القانونية مع أنه أمر ثانوي بالنسبة للصلاة

وأن المسلمين مع أنهم رفضوا وأنكروا الذبيحة الفعالة الحقيقية الوحيدة لأجل الخطايا فهم لم يزالوا يستخدمون ذبيحة الحيوانات التي هي إذ ذاك ظل بدون شبح ورمز بدون مرموز إليه وسؤال بدون جواب ونبوة بلا إتمام وليست وسائط فعالة للحصول على العفو بل هي بمثابة اعتراف فعلي غيــر اختياري من الذين لم يزالوا يقدمونها على أنهم لم يفتأوا يحتاجون كفارة عن أنفسهم ودماً مطهــراً لخطاياهم وشفيعاً وفادياً حقيقياً تاماً ليخلصهم من الدينونة الآتية ويحضرهم إلى حضــرة الله الآب المصالح المبارك

الخاتمة

والآن اعلم أيها القارئ الكريم ويا أخي المسلم الحبيب إن عيني تدمع وقلبي يخفق حباً لك وأني لم أكن غير عالم بالألم الذي لا بد أن تكون قد سببته لك هذه الرسالة أولاً. وإن الأمر الـــذي كنت تعتبره سابقاً زللاً مسيحياً قد تبرهن لك حقيقة لا مشاحة فيها وإنكارك إياه الذي كنت تحســـبه قضية مقررة دينياً قد ظهر لك بطلانه وبعده عن الحق. وكنت أود أن أكون مكانك لأحتمـــل مـــا سببه لك هذا الموضوع من جرح الإحساسات الكريمة

ولكن اسمح لي أيها الأخ الحبيب أن أتوسل إليك إكراماً لله ولنفسك أن لا تنبـــذ موضـــوعاً هاماً كهذا ظهرياً لفرط الغضب بل أمعن النظر فيه بهدوء واعتبار ليظهر لك الحق ظهور الشمس في رائعة النهار

كنت أحسب نفسي مجرماً بتكدير صفو اعتقادك الديني لو لم أكن عالمـــاً أن هـــذا يتعلـــق بمصلحتك وبخلاص نفسك أو لو لم أكن معتقداً من صميم الفؤاد أن ما عرضته لديك من الإنجيـــل ليس هو من آراء البشر بل هو طريق الحياة التي أعلنها الله العلي الشأن

تأمل باجتهاد وبروح التقوى في البراهين الكثيرة الموردة إثباتاً لحقيقة موت المسيح علـــى الصليب لأجل خطايا الناس وحينئذ اسأل نفسك إنْ كانت هذه الشهادات العظيمة يمكـــن أن تـــنقض بواسطة إنكار بسيط مدون في كتاب ظهر في بلاد العرب بعد حادثة مـــوت المســـيح المقصـــودة بستمائة سنة ونيف

إن الإنجيل يذكر بالتدقيق ويعلم باعتبار أن المسيح مات على الصليب والقرآن ظهر فجـأة قائلاً « وما قتلوه وما صلبوه » فكل منهما يناقض الآخر ولا سبيل للتوفيق بينهما. إذا كان أحدهما صحيحاً فالآخر بالطبع يكون كاذباً. وإذ قد تبرهن أن الشيء الذي قـرره القـرآن ضـد الحقيقـة والتاريخ فمن الذي يخاطر بنفسه ويثق بباقي ما ورد فيه؟

إن القرآن هو المدعي (أو المهاجم) « والبينة على من ادعى » فليبرهن هو علـى عـدم صحة ما أنكره إنْ كان يستطيع إلى ذلك سبيلاً. لكنه لم يفعل شيئاً من ذلك وها قد رأينا أن كل مـا أورده المفسرون لإثبات هذا الادعاء خال من البرهان

أيقدر أحد أن يبرهن على أن إنكار القرآن لموت المسيح قـد جلـب بركـة مـا للجـنس البشري؟ أي قسم من التعليم الإسلامي قد تبرهن أنه مفيد للمتمسكين فيه؟ هل إنكاره إحدى الحقائق أو بالحري اعترافه بالحقائق التي استعارها من الديانة اليهودية والديانة المسيحية؟

هل إنجيل المخلص المصلوب ــ كلمة الصليب غير مفيد؟ أي شيء مثلـه يلـين القلـب ويجذبه؟ وهذا ما قاله الرسول بولس في هذا الصدد « لأني لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قـوة الله للخلاص لكل من يؤمن »

يا لها من سعادة يحصل عليها أولئك الذين يعرفون ذاتهم أنهم تحت عناية ذاك «الراعـي الصالح (الذي) يبذل نفسه عن الخراف » (يو ١٠: ١١ ــ ١٥)

يا أخوتي المسلمين إن هذا الراعي الصالح يمد ذراعيه نحوكم مشـتاقاً أن يجمعكـم إلـى حظيرته (يو ١٠: ١٦)

إن ما كتبته آنفاً لم أقصد به تهييجكم أو أذاكم بل قصدي الوحيد أن أدلكم على الراعي الصالح وأن أرفع البرقع الذي به القرآن أخفى ذلك الراعي عن عيونكم

« وهل في الحق يا أمي ارحميني؟ »

تعالوا واقتسموا السعادة مع الذين يقدرون أن يقولوا « الرب راعيّ فلا يعوزني شيء » تعالوا وذوقوا التعزية مع الذين يشعرون أن المسيح أحبهم حتى الموت وغسلهم بدمه الثمين من كل خطاياهم (رؤ ١: ٥) تعالوا واعبدوا الشخص العجيب الذي أظهرت محبة الله فيه « بهذا أظهرت محبة الله فينا إن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به. في هذا هي المحبة ليس إننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا » (١يو ٤: ٩ و١٠)

يا أخوتي إذا شعرتم مرة بنار محبة الله تتأجج في قلوبكم فحينئذ تسامحوني لأجل إزعاجي إياكم وتشكرونني لأني أيقظتكم من حلمكم وتجتهدون أيضاً أن تخرجوا النفوس الضالة من الظلمة إلى النور العجيب

وبما أنني معتقد أن الذي أقدمه لكم هو أحسن مما معكم أتجرأ أن أريكم أن القرآن لا يتفق مع الإنجيل وأن الذي ينكر حقيقة موت المسيح التاريخية على الصليب لا يقدر أن يكون شفيعاً حقيقياً يقودكم إلى الله تعالى ولا إلى السماء

يسوع المسيح هو « الطريق والحق والحياة وليس أحد يأتي إلى الآب إلاّ به » (يو ١٤: ٦)

يا إخوتي المسلمين: هل تظنون أنكم تخسرون إذا استبدلتم القرآن بالإنجيل ومحمداً بيسوع المسيح المخلص؟: كلاّ

وإنني أدعوكم أن تقبلوا ديانة يسوع لترتقوا وتصيروا في حالة مرضية لإرادة الله المقدسة أكثر من حالتكم أفراداً وإجمالاً

إن ما يحملني على أن أدعوكم لاقتسام البركات التي تسكبها الديانة المسيحية إلى الناس والعائلات والأمم التي تدين بها وتمارسها هو الإرادة الصالحة والمحبة وليس العداوة أو النفور

أي شيء يعزيكم أكثر في ساعة الموت ويضمن لكم قبولاً حسناً عند صانعكم في العالم الآتي هل ثقتكم بمحمد الذي أتم ثماني وثلاثين حملة حربية من هجرته إلى موته بسفك الدماء واغتصاب أملاك الناس حسبما رواه المؤرخون المسلمون أو اعتناقكم بإيمان حي « يسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب » (لو ٢٤: ١٩) الذي نقدر أن نصفه هكذا « جال يصنع خيراً » (أع ١٠: ٣٨) وبواسطته « العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون » (مت ١١: ٥) وجاء « ليبذل نفسه فدية عن كثيرين » (مت ٢٠: ٢٨ و١تي ١: ٦) وهو الذي بينما كان معلقاً على الصليب صلى لأجل أعدائه قائلاً « يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (لو ٢٣: ٣٤)

إخوتي استيقظوا من سباتكم وانبذوا ظهرياً الأوهام والتعصب وتأملوا في هذه الأشياء كحكماء ولا تنفكوا عن الصلوة لله تعالى أن يرشد أقدامكم إلى سبيل

الحق والحياة والسلام. حتى نعمل معاً كشعب الله المقدس لإتمام العمل العظيم الشريف الموضـــوع أمامنا ألا وهو جذب الملايين من عبادي الأصنام الذين هم أكثر من نصف الجنس البشـــري عــداً وإخراجهم من ليل الوثنية البهيم إلى نور الإيمان الحقيقي العظيم. ليس بواسطة الجنـــود الفاتحـــة ونار البنادق المحرقة وحد السيوف المرهفة (الوسائط التي انتشرت بهـــا الإســـلامية فـــي الأيـــام الماضية) بل بروح يسوع روح المحبة وبعمل الخير والقدوة الصالحة وبتعليم وتبشـــير كلمـــة الله بصبر حتى نصل الغرض وننال المراد. ونسمع نغمة نشيد الانتصار ترن من السماء فـــوق كـــل الأقطار قائلةً « قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك إلى أبد الآبدين » آمين؟

فهرست